أبو القاسم الآمدي

و

كتاب الموازنة

تأليف
محمد علي أبو حمدة

مكتبة الجامع الحسيني
هاتف ٦٣٧٥٤٧ عمان - الاردن

الأهلية للنشر والتوزيع
هاتف ٦٣٨٦٨٨/٦٥٧٤٤٥ ص . ب ٧٧٧٣

أبو القاسم الآمدي

و

كتاب الموازنة

تأليف

محمد علي أبو حمدة

الأهلية للنشر والتوزيع
هاتف ٦٣٨٦٨٨/٦٥٧٤٤٥ ص . ب ٧٧٧٢

مكتبة الجامع الحسيني
هاتف ٦٣٧٥٤٧ عمان - الاردن

رسالة قدمت لنيل درجة أستاذ في الآداب
إلى دائرة اللغة العربية في الجامعة الأمريكية في بيروت
أيلول ١٩٦٨

إهداء الكتاب

إلى زوجتي الغالية التي لم تدخر وسعاً في التضحية وإنكار الذات أهدي هذا الكتاب .

د. محمد علي أبو حمدة
Ph.D. في النقد الأدبي من جامعة لانكستر بالمملكة المتحدة M.Litt. في النقد الأدبي
من جامعةاكسفورد بالمملكة المتحدة أستاذ مساعد بالجامعة الأردنية بعمان.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمة الطبعة الثانية

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وَالصَّلاة والسَّلام على سَيِّدنا محمد ﷺ، وبعد:

فلقد أثلج الصَّدْرَ مِنّي ما كان من نفاد الطبعة الأولى من كتاب «أبو القاسم الآمدي وكتاب الموازنة» وما لقيه من عناية أهل العلم والمشتغلين بالآداب العربية والنقد الأدبي بخاصَّة - ما كان مدوَّناً في التآليف والبحوث وما كان في أروقة الجامعات ومجالس العلم. ولأنَّ الكتاب قد غدا في بعض الجامعات العربية والإسلامية مادَّة تدريس، فإنَّ المؤلف قد رَغِبَ عن ادخال بعض تعديلات أو إضافات في الطبعة الثانية إلا ما اقتضاه تصحيح النصوص طباعة - مما قد وقفنا عليه.

والأَمَلُ أن لا يَضِنَّ علينا أَحَدٌ من أهل العلم والفضل والبحث والتخصص والغيرة على الأمجاد الإسلامية واللغة العربية الشريفة بما يراه الأشمل والأكمل على طريق هذه الدراسة.

والله وليُّ التوفيق

الفهرس

الباب الأول

الآمدي وثقافة القرن الرابع الهجري

الآمدي والقرن الرابع الهجري

١ ثقافة القرن الرابع الهجري

ورث المجتمع العبّاسي في القرن الرابع الهجري تراثاً حضاريا ضخماً ، ساهم القرنان الثاني والثالث في تكوينه وتنشئته وبلورته ، فكان تام النضج يانعاً وجاهزاً للقطاف . وقد امتزجت فيه الحضارة اليونانية والفارسية والهندية ، وكل هذه النقول كانت قد انصهرت مع معارف العرب ومعالم حضارتهم . وقد أثبتت الحضارة الإسلامية قدرتها على التطور بتقبلها تلك الحضارات ، وبلغت أعلى درجات السمو الفكري والحضاري في القرن الرابع الهجري ، ولا غرو فقد كان القرنان الثاني والثالث عصر اقتباس وترجمة بدأت أسسها بشكل علمي منظّم يوم أرسى الخليفة المأمون قواعد بيت الحكمة في بغداد ، أما القرن الرابع فكان عصر تمثّل وابتكار .

ان مجتمع القرن الثالث الهجري كان قد بلغ درجة عالية من الترف والتأنق في ألوان اللباس والطعام وشتى مظاهر الحياة ، كانت فيه بغداد معرضاً وسوقاً

رائجة تجبى اليها منتوجات العالم القديم ، ويلتقي فيها التجار والوافدون وأهل العلم من كل بلد . وكان أهل بغداد ينفردون في التمتع بخيرات الامارات الأخرى على كثرتها . وفي هذا المجتمع المترف الذي ضم بين دفتيه مئات الألوف من المدقعين ، برز التناقض الاقتصادي والاجتماعي . وظهرت الحركات الثورية كالقرمطية والزنجية والتي كشفت بؤس وشقاء الآخرين وأثرت ولا شك في الأدب والفلسفة والتاريخ . وما أن أطل القرن الرابع الهجري حتى كان الكيان السياسي قد دبّ فيه الضعف ، وأخذ الأمراء الأجانب يتسلطون على مقاليد الأمور ، وانفصلت الإمارات البعيدة عن جسم الدولة حتى لم يبق للخلافة المركزية في عهد امرة الأمراء سلطان الا على بغداد ونواحيها .

وكأن الانقسام السياسي والتدهور الاقتصادي في القرن الرابع الهجري كان نعمة على العلم والأدب ، فنجد الامارات المستقلة تتنافس في اجتذاب الأدباء والعلماء والإغداق عليهم . ونجد العلوم والفنون والآداب تواصل مسيرتها التي بدأت في القرنين الثاني والثالث ، ودخلت الفلسفة في كل علم وفن . فصار النحاة يعتمدون أساليب المناطقة ، وألزم بعض النقاد النقد الأدبي معايير فلسفية وقيدوه بها ، ولم ينج الشعر من تسرب الآراء الفلسفية اليه . وهذا دليل على الرقيّ الفكري الذي بلغه هذا العصر -- وان اعتبر المحافظون ذلك مروقاً وتعقيداً مجانباً للذوق العربي الأصيل . ان الذين لم يكن في استطاعتهم ادراك التطور الهائل الذي أصاب المجتمع الاسلامي في القرن الرابع هم وحدهم الذين لم يفهموا تطلعات أبي تمام الى التجديد . وفي خضم ذلك الطغيان العلمي والفلسفي الذي كان يعمّ نواحي الحياة كلها بزغ نجم الناقد الآمدي الذي تأثر ولا شك بتيارات عصره المتلاطمة .

٢ ثقافة الآمدي

تتلمذ الآمدي على أئمة اللغة والنحو والأخبار وهم الذين انتهت اليهم جهود أهل العربية قبلهم ، وجلسوا مجالسهم في حلقات العلم والتدريس . وقد كان للآمدي من طول الصحبة ومواتاة الظروف وتقادم العمر ما يمكن معه القول أنه حوى ما عند هؤلاء الاساتذة الأعلام من علوم العربية وآدابها . وقد نوّه القفطي بهذه الثقافة اذ قال : « اتّسع في الآداب وبرّز فيها ، وانتهت رواية الشعر القديم والأخبار في آخر عمره بالبصرة اليه »(١) .

أما اتّساع الآمدي في الآداب وبصره بالشعر قديمه ومحدثه الى جانب طول باعه في النثر فلا أدل عليها من مؤلفاته التي وصلت الينا . فكتابه « المؤتلف والمختلف » في أسماء الشعراء — وهو مطبوع — يتضمن عدداً لستمائة وخمسة وأربعين شاعرا اختارها الآمدي لأكثر الشعراء المقلّين الذين يكثر الغلط في أسمائهم . وكتاب الموازنة حشد ضخم لكل ما وصل اليه القرن الرابع الهجري من ذوق أدبي ونقد وتمرّس بالشعر ووقوف على أخبار الشعراء وأحوالهم ومراتبهم ، وآراء أهل العلم وشيوخ اللغة في ذلك .

وفي ما يلي محاولة للوقوف عند أنواع الثقافة التي حصّلها الآمدي أو اطّلع عليها :

أ — الثقافة الدينية : ويظهر تبحره في العلوم الدينية من كثرة استشهاده بآي

(١) إنباه الرواة : ج ١ ، ص ٢٨٨ .

القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال المفسّرين والصحابة والفقهاء ، بالإضافة الى ثقته بنفسه في تفسيره الجريء لمعاني الكثير من الآيات القرآنية التي تعددت وجوه تأويلها . فمن ذلك مناقشته للقلب في المعنى اللفظي في كلام العرب يقول : « فإن قيل : فقد جاء القلب في القرآن ولا يجوز أن يقال ان ذلك على سبيل السهو ولا الضرورة ، لأن كلام الله عزّ وجلّ يتعالى عن ذلك وهو قوله : (ما انمفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة) وانما العصبةتنوء بالمفاتيح أيتنهض بثقلها . وقال الله عزّ وجلّ : (ثم دنا فتدلّى) وانما هو تدلّى فدنا ، وقال : (وإنه لحبّ الخير لشديد)أي : وان حبّه للخير لشديد . ولهذا أشباه كثيرة في القرآن . قيل : هذا ليس بقلب وانما هو صحيح مستقيم ، وانما اراد الله تعالى اسمه : ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أي تميلها من ثقلها . وذكر ذلك الفرّاء وغيره ، وقالوا : انما المعنى لتنيء العصبة . وقوله : (وانه لحب الخير لشديد) قيل : المعنى انه لحبّ المال لشديد ، والشدّة : البخل ، يقال : رجل شديد ومتشدّد : أي بخيل ، يريد انه لحبّه المال لبخيل متشدد » [1] .

ومن تبنيّ الآمدي لبعض وجوه التفسير مع التردد في الجزم قوله في الآية الكريمة (لتركبنّ طبقاً عن طبق) أي : حالا بعد حال . ولم يرد تساويهما في تمثيل المعنى ، وانما أراد عزّ وجلّ — وهو أعلم — تساويهما فيكم وتغييرهما اياكم بمرورهما عليكم[2] . وفي قول الله عزّ وجلّ (فأمّا الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم) يقول الآمدي : كأنه أراد : فيقال لهم أكفرتم بعد ايمانكم [3] .

ومن استشهاد الآمدي بالأحاديث النبوية الشريفة قوله في التعليق على بيت أبي تمـــام :

---

(١) الموازنة ج : ١ ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص : ٢٧١

(٣) نفس المصدر ، ص : ١٨٢ .

هُنَّ ٱلْبَجَـاريُّ أَيَـا بُجَيْرُ أهدى لهـا الأَبْؤُسَ ٱلْغُوَيْرُ

« البجاري : جمع بُجْرِيّة وهو ما يمرّ بالانسان من المصائب ، من قوله عليه السلام : أشكو الى الله عُجَري وبُجَري »[١] . ومن استشهاده على حسن الجزاء ايراده الحديث : قالت امرأة لرسول الله : يا رسول الله ، نذرت إن بلّغتني ناقتي هذه اليك أن أنحرها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لبئس ما جزيتها »[٢] . الى غير ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة المبثوثة في كتابي « الموازنة » و « المؤتلف والمختلف » .

ومن استشهاده بأقوال الفقهاء ما جاء في تعليقه على بيت البحتري :

تشقُّ عليه الرِّيحُ كلَّ عَشِيَّةٍ جُيُوبَ ٱلْغَمَامِ بينَ بِكْرٍ وَأَيِّمِ

يقول الآمدي : « غلط لأنه ظن أن الأيم هي الثيّب ، وقد غلط في مثله أبو تمام ... وسها أيضاً فيه بعض كبار الفقهاء »[٣] . وقال في موضع آخر : « وقد غلط في الأيم بعض كبار الفقهاء فجعلها مكان الثيب ، وذلك لحديث روي عن النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لحقه السهو في تأويله فحمله على غير معناه »[٤] . وقد بيّن القاضي الجرجاني أن الفقيه المقصود هو الامام الشافعي رضي الله عنه[٥] .

ب ـ الثقافة الفلسفية : لم يكن الآمدي ـ كما يبدو ـ يجهل الكثير من الثقافات المترجمة في عصره ، والتي كانت قد أخذت طريقها الى مختلف ألوان الثقافة ، وكتب الجاحظ وابن قتيبة وأبي حيّان التوحيدي تزخر بحشد ضخم من

(١) الموازنة ، ج ٢ ، ص : ٢٦٩ .
(٢) الموازنة ، ج : ١ ، ص : ٤١٥ .
(٣) نفس المصدر ، ص : ٣٥٦ .
(٤) نفس المصدر ، ص ١٦١ .
(٥) الوساطة ، ص : ٨٠ .

هذه الثقافات .ولم يفت الآمدي نفسه أن يدلّ على معرفته بالنقد القائم على فلسفة أرسطو قال : « ذكرت الأوائل أن كل محدث مصنوع يحتاج الى أربعة أشياء : علّة هيولانية وهي الأصل، وعلّة صورية ، وعلّة فاعلة ، وعلّة تمامية »[١] . بل لا نستطيع أن ندفع عن الآمدي تأثره بالفلسفة سواء أكان ذلك في آرائه أم في طرق تأليفه ومناقشاته . ولكن هل كان من أثر لهذه الفلسفات في نقد الآمدي وذوقه الأدبي ؟

لقد كان لأرسطو مكانة عظيمة عند العرب ، وكان الجاحظ يسميه أبـا المنطق ويرجع اليه كثيرا في كتبه . ولكن الذي نستبعده أن تكون آثار أرسطو الأدبية قد تركت أي أثر في تطوّر تحليل الابداع الشعري عند العرب . ان قرّاء أرسطو وشرّاحه كانوا جميعاً تقريباً — كما يقول المستشرق كراتشكوفسكي — من الفلاسفة أو المبتحرين بالعلوم الطبيعية . أما الباحثون في نظرية الأدب وتاريخه وهم دائما اللغويون في أضيق معاني هذه الكلمة فقد كانوا يتحاشون الخوض في ذلك . واذا سرنا شوطا أبعد في تتبّع تاريخ بديع ارسطو عند العرب وجدنا شارحَيْن شهيرين له هما ابن سينا وابن رشد.ومن المشكوك فيه أن يكون هذا الأخير قد فهم فهماً صحيحاً بديع أرسطو . ففي نقله الطليق لهذا البديع عرّف التراجيديا بأنها فنّ المديح ،والكوميديا فنّ التقريع .وعلى هذا الأساس تصبح القصائد العربية تراجيديات والهجاء كوميديا [٢] .

فإذا كان حتى الفلاسفة — كما يقول كراتشكوفسكي — قد فهموا بديع أرسطو هذا الفهم فلا عجب أن رأينا الباحثين في نظرية الأدب ينفرون في كثير من الأحيان من البديع اليوناني .فهذا الجاحظ مثلاً يأتي على ذكر منطق أرسطو أحياناً ولكن بشيء من السخرية خفيّة فهو يقول : « ألا ترى أن كتاب المنطق

(١) الموازنة ، ج ١ ، ص ٤٠٢ .

(٢) نقلا عن « كراتشكوفسكي – دراسات في تاريخ الأدب العربي ، ص : ٣٦ .

الذي قد وسم بهذا الإسم او قرأته على جميع خطباء الأمصار وبلغاء العرب لما فهموا أكثره »[1]. ويعيب ابن قتيبة الدينوري في مقدّمة كتابه « أدب الكاتب » على الأدباء الذين ينصرفون الى دراسة المنطق والفلسفة ويرى أن العلوم العربية قائمة بنفسها مستغنية عمّا سواها ، وأنها الجوهر ، والجوهر قائم بنفسه كما يقول[2]. ويأتي أبو حيّان بمناقشة طريفة لأبي سعيد السيرافي وأبي بشر متىّ بن يونس وغيره من المناطقة يبيّن فيها أبو سعيد أن الآداب عند كل أمة مستغنية عمّا سواها من الأمم ، وأن العلوم العربية قائمة بنفسها غير مفتقرة الى غيرها وأن المناطقة أعيا الناس في الفصاحة العربية وأصولها[3]. ويسخر الآمدي من ادخال الفلسفة في الشعر فيقول : قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة ، فإن شئت دعوناك حكيما ، أو سميّناك فيلسوفا ، ولكن لا نسمّيك شاعرا . ولا ندعوك بليغا »[4]. ويذهب ابن الأثير أبعد من ذلك فيتحدث عن ابن سينا بسخرية لاذعة يقول : « فإن ادّعيت أن هؤلاء تعلموا ذلك من كتب علماء اليونان قلت لك في الجواب هذا باطل بي أنا ، فإني لم أعلم شيئا مما ذكره حكماء اليونان ولا عرفته ... ولقد فاوضني بعض المتفلسفين في هذا وانساق الكلام الى شيء ذكر لأبي عليّ بن سينا في الخطابة والشعر وذكر ضرباً من ضروب الشعر اليوناني يسمى اللاغوذيا وقام فأحضر كتاب الشفاء لأبي عليّ ووقفني على ما ذكره فلما وقفت عليه استجهلته فانه طوّل فيه وعرّض كأنه يخاطب بعض اليونان وكل الذي ذكره لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئا »[5] .

---

(١) دراسات في تاريخ الأدب العربي ، ص : ٣٦ ، ٣٧ . وانظر الجاحظ : كتاب الحيوان ج : ١ ، ص : ٩٠ .

(٢) أدب الكاتب ، ص ٤ .

(٣) الامتاع والمؤانسة : ج ، ١ ، ص : ١٠٩ وما بعدها .

(٤) الموازنة ، ج : ١، ص ٤٠١ .

(٥) المثل السائر ، ج: ٢ ، ص ٤ .

ما دام الأمر كذلك فإنه من الصعب – كما يقول كراتشكوفسكي – ايجاد آثار للنفوذ اليوناني في نشوء البديع والتحليل الأدبي . فقد ولدت هذه في بيئة تختلف عن بيئة اليونان كلّ الاختلاف . نشأت في أوساط اللغويين العرب الذين لم يستندوا في أبحاثهم الى نظرية أجنبية بل الى استقصاء لغتهم هم [1] . والفرق بيّن بين من نحا منحى الفلاسفة في نظرتهم للأدب – كما فعل قدامة بن جعفر في « نقد الشعر » والذي جمّد فيه الطبع العربي في تقسيمات منطقية وترقيمات نافلة فأكثر الحزّ وأخطأ المفصل . وبين نظرة الآمدي الأدبية التي تقوم على فهم عميق لطبائع العرب ونفسيتهم ومراميهم في القول .

ان السبب الأول في اشاحة الأدباء واللغويين عن كتاب « نقد الشعر » - كما يقول المستشرق كراتشكوفسكي - هو نفور الأوساط الأدبية من كل بناء نظري نشأ بتأثير فلسفة غريبة عنهم ومنطق ليس منهم . ان كتاب قدامة كما يقول . يترك في النفس شعوراً بأنه غريب عن العرب بعض الشيء اذا قورن بمؤلفات ابن المعتز والجاحظ [2] . ولعل في المثال التالي ما يوضح الفرق بين نظرتي أهل الفلسفة كقدامة بن جعفر وأهل اللغة كالآمدي .

ان قدامة في تعريفه لفن المدح عند العرب يذهب الى أن المدح بالحسن والجمال والذم بالقبح والدمامة ليس بمدح ولا ذمّ على الحقيقة . ويخطىء كل من يمدح بهذا ويذم بذاك [3] . ويردّ عليه الآمدي بقوله : « فأما الجلال والبهاء والهيبة ...فإنه واجب في مدح الخلفاء والملوك والعظماء ، لأنه من الأوصاف التي تخصّهم . ويحسن موقع ذكرها عندهم ، وكذلك جمال الوجه وحسنه مما يجب المدح به . فان الوجه الجميل يزيد في الهيبة ، ويتيمّن به العرب

(١) دراسات في تاريخ الأدب العربي ، ص ٣٧ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٨ .

(٣) نقد الشعر ، ص ١١٢ .

لأنه يدلّ على الخصال المحمودة . كما أن قبح الوجه والدمامة يسقط الهيبة ويدل على الخصال المذمومة . وذلك ما تكرهه العرب ، وتتشاءم به ، لأن أول ما تلقاه من الانسان وتعاينه وجهه »[١] .

جـ الثقافة اللغوية : وأعني بها احاطته التامة بمدلولات العربية من ألفاظ ومعان ، وأساليب العرب في التعبير . وعاداتهم في القول . مع حسّ لغوي مرهف ، وفطنة حادة . وكتاب الموازنة يزخر بالأمثلة الكثيرة التي تشهد على ذلك .

١) مدلولات الألفاظ : ففي بيت أبي تمام في وصف الفرس .

مَا مُقَرَّبٌ يَخْتَالُ فِي أَشْطَانِهِ   مَلآنُ من صَلَفٍ به وتَلَهْوقِ

يقول الآمدي : « ملآن من صلف به » يريد التيه والكبر . وهذا مذهب العامة في هذه اللفظة . فأما العرب فإنها لا تستعملها على هذا المعنى وانما تقول : قد صلفت المرأة عند زوجها اذا لم تحظ عنده ، ... والصلف الذي لا خير عنده... فهذا معنى الصلف في كلامهم وعلى هذا ذمّ أبو تمام الفرس من حيث أراد أن يمدحه »[٢]. وهذا يدلّ على فهم دقيق لأصل اللفظة ومدلولاتها .

٢) أساليب العرب في القول : وللآمدي إلمام تام بدقائق الحياة العربية وفهم عميق لنفسيات القوم ومراميهم في القول . تأمل مناقشته لمذهب العرب في الوقوف على الأطلال ومقاصدهم من ذلك مع حشد الشواهد الأدبية وبراعة التعليل . يقول : « العرب لا تقصد الديار للوقوف عليها ، وانما تجتاز بها ، فإن كانت واقعة على سنن طريقهم قال الذي له أرب في الوقوف لصاحبه أو أصحابه :

---

(١) الموازنة ، ج : ٢ ، ص ٣٦٩ .

(٢) الموازنة ، ج : ١ ، ص : ٢٣٤ والمفردات كما وردت في « الموازنة » هي : المقرب : الفرس . التلهوق ــ التملق ، الاشطان : الأرسان .

قف . وقفا ، وقفوا . وان لم تكن على سنن الطريق قال : عوجا ، وعرّجا ، وعوجوا ، وعرّجوا . كما قال امروُ القيس :

عُوجا على الطَلَل الُمحيلِ لعلَّنا نبكي الديار كما بكى ابنُ حِذام

واذا عرّجوا كان التعريج أشقّ على الركب والركاب من الوقوف لأن لها في الوقوف حيث انتهت راحة ، والتعريج فيه زيادة في تعبها وكلالها وان قلّت المسافة ... وهذه طريقة القوم في الوقوف على الديار ولهم فيها من الأشعار ما هو أشهر واكثر من أن أحتاج الى ذكره ،وتلك سبيل سائر المحدثين » (١). ويدافع الآمدي عن مذهب الوقوف على الأطلال والتسليم عليها، وهو يبيّن أن العرب انما تفعل ذلك اذا إجتازوا الأطلال أو عند مشارفتهم لها ، ولا تفعل ذلك قصداً لأن المحبوب ان كان حيّاً موجودا فقصد رباعه ومواطنه التي هو قاطنها أولى وأجدى -كما يقول الآمدي وان كان ميتا فالإلمام بناحيـة الأرض التي فيها حفرته ـ أولى وأحرى (٢) .

ومعرفة الآمدي بالشعر يكاد لا يندّ عنها شيء من أسبابه سواء في ذلك المعاني والألفاظ ومدلولاتها . وأحوال الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وآراء النقاد حولهم ، بل انه نفسه كان شاعرا . كثير الشعر ، حسن الطبع . جيّد الصنعة ، مشتهرا بالتشبيهات — كما يقول ياقوت (٣) . ويقول القفطي : « وله شعر حسن » (٤) ، لكن ما وصلنا من شعره — للأسف — ليس أكثر من مقطعات

---

(١) الموازنة ، ج : ١ ، ص ٤٠٩ ١١ ٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص : ٤١٢ .

(٣) معجم الأدباء ، ج : ٨ ، ص ٨٧ .

(٤) انباه الرواة ، ج ١ ص ٢٨٩ .

صغيرة . [١] لا تصور الآمدي الشاعر .

وأما في موضوع النثر فله من اشتغاله بالكتابة والتقلّب في مناصبها وتسميته بالكاتب ما يشهد على طول باعه فيه، وكتاب «الموازنة» يعدّ برهاناً ماثلاً على فصاحة عبارته ومتانة أسلوبه مع وضوح الدلالة ونصوع المعنى . وكتبه مثل كتب الجاحظ تعلّم العقل أولا والأدب ثانياً [٢]، وقد لاحظ ذلك ابن النديم فقال : « كان يتعاطى مذهب الجاحظ فيما يعمله من الكتب » [٣] .

أما ثقافة الآمدي النحوية فلست في حاجة الى البرهان على غناها وعمقها وهو الأديب النحوي . وتلميذ أئمة النحو في القرن الرابع الهجري . وقد تميّزت معالجة الآمدي للنواحي النحوية — في الموازنة — بما يلي :

(١) تخريج جميع الوجوه المحتملة ومناقشتها واقامة البراهين على صحتها أو نفيها بما لا يترك قولا لمستزيد .

(٢) التقريب الى الأذهان ، والتبسيط في العرض والشرح مع الأمثلة القريبة الواضحة المستمدة من كلام المخاطبة العادي .

(٣) التمسك بالمبادىء النحوية العامّة . وانكار الشوارد النحوية ، أو قياس الأصول اللغوية على أصول مثلها .

ومن الامثلة التي توضّح ما نذهب اليه في ضريقة تناول الآمدي للمسائل النحوية مناقشته لمعنى « هل » في بيت أبي تمام [٤]:

---

(١) وردت هذه المقطعات في : معجم الادباء ، ج : ٦ ، ص ٣٠٦ ، معجم الأدباء ، ج : ٨ ، ص ٨٢ ، ٩٠ ، ثم إنباه الرواة ، ج : ١ ، ص : ٢٨٥ ، ٢٨٩ .
(٢) هذه الجملة لابن العميد : أنظر : الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج : ٣ ، ص : ٣ ، وانظر : معاهد التنصيص ، ج : ١ ، ص ١٧٦ .
(٣) الفهرست ، ص ١٥٥ .
(٤) الموازنة ، ج : ١ ، ص : ٢٠١ .

رضيتُ وهل أرضى إذا كان مُسخطي
من الأمرِ ما فيه رضــا من له الأمرُ

وكأن الآمدي لم يشعر بالارتياح الى استيفاء معاني « هــل » في هــذه المناقشة الضافية فآلف في ذلك كتابا منفصلاً [١] . وان كان قد اشبع القول في تخريج معاني « هل » فإن ذلك لم يكن خارجاً عن طبعه في تناول المسائل النحوية فهو يتناول معاني « دون » ويحشد في الإستشهاد على صحة معانيها من القرآن الكريم والشعر والأمثال وكلام الناس ما ينتزع معه الاقرار لطول باعه في هذا الميدان [٢] .

وتكاد استطرادات الآمدي النحوية المبثوثة في كتاب « الموازنة » تشكّل كتابا اذا ما جمع بعضها الى بعض . وقد تناول في هذه الاستطرادات أهم الموضوعات اللغوية التي يدخل فيها الاشكال من مثل : المصادر [٣] . ومطاوعة الفعل المتعديّ [٤] ، والأضداد في اللغة [٥] واسم الفاعل والمفعول [٦] .

د ــ الثقافة النقدية : يبدو أن الآمدي لم يدع كتابا في النقد الأدبي أو في الشعر والشعراء دون أن يقرأه أو يرد عليه . وقد تأثر بكثير من النقاد الذيــن سبقوه ، وكثيرا ما كان ينقل عن كتبهم أو يناقش آراءهم النقدية في مواضع كثيرة من كتاب الموازنة . نذكر من هؤلاء :

---

(١) أنظر : الموازنة ، جـ : ١ ، ص : ٢٠٥ وهذا الكتاب لم يصل الينا – مع الأسف .

(٢) نفس المصدر ، ص : ١٧٠ – ١٧٥

(٣) نفس المصدر ، ص : ١٦٥ - ١٦٦ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٥٨ .

(٥) نفس المصدر ، ص : ٢٣٨ ، والموازنة جـ : ٢ ، ص ٣٥ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٢١٥ .

١) ابن سلاّم الجمحي (ت٢٣٢ هـ) وكتابه « الطبقات » :

ينقل الآمدي عن ابن سلاّم في كتاب « الطبقات » بشيء من الاحترام والتقدير . ففي سياق حديثه عن كثيّر بن عبد الرحمن يقول : «وهذا ابن سلاّم الجمحي ذكره في كتاب« الطبقات » في الطبقة الثانية من شعراء الاسلام»[١].

٢) الجاحظ (ت٢٥٥ هـ) :

والذي لا شك فيه أن الآمدي قد قرأ كتب الجاحظ وتأثر بها . وقد سبقت الاشارة الى انتهاج الآمدي مذهب الجاحظ في التأليف [٢] .

٣) ابن قتيبة (ت٢٧٦ هـ) :

لم يطّلع الآمدي على كتب ابن قتيبة فحسب بل كان يروي كتبه في الناس نقلا عن ابنه أبي جعفر [٣] .

٤) ابن المعتز (ت ٢٩١ هـ) :

ويبدو تأثر الآمدي بابن المعتز وكتابيه « البديع » «وسرقات الشعراء » . وهو ينقل آراء ابن المعتز بروح الثقة والاحترام . . ففي بيت للبحتري يقول : ذكره عبد الله بن المعتز وقد علمتَ فضله وعلمه بالشعر في باب ما اختاره من التشبيه في كتابه الذي نسبه الى البديع »[٤] . وفي موضع آخر يقول الآمدي : « وقد ذكر أبو العبّاس عبد الله بن المعتز في كتابه المؤلف في سرقات الشعراء ومعانيهم ... »[٥] .

---

(١) الموازنة ج ١ ص ١٠ .
(٢) أنظر : ص ١٣ ، هامش رقم ٣ من هذا البحث .
(٣) أنظر : معجم الأدباء جـ : ٥ ، ص : ٣٧٩ .
(٤) الموازنة ، جـ : ١ ، ص ٣١١ .
(٥) نفس المصدر ، ص : ٢٨٦ .

٥) قدامة بن جعفر وكتاب « نقد الشعر » :

وقد ألّف الآمدي كتابا في تبيين غلط قدامة في هذا الكتاب ، كما ألّف كتاباً في الردّ على ابن طباطبا العلوي وكتابه «عيار الشعر» ، وسنعرض بالبحث لهذين الكتابين فيما بعد .

٦) شيوخ اللغة :

والآمدي كثير الأخذ عن شيوخه في الآراء النقدية ، وكثيرا ما يكتفي بنعتهم بذكر كلمة الشيوخ . ففي تفسير بيت لأبي تمام يقول الآمدي : « كذا فسرّه الشيوخ بعد أن جرى في البيت خوض طويل » [١]. وهذا على سبيل المثال لا الحصر .

---

(١) الموازنة ، جـ ٢ ، ص : ٤٠ .

٣. حياة الآمدي

أ ـ أسرته : تنتمي أسرة أبي القاسم الآمدي الى مدينة «آمِدْ»[١] ، وهي التي يقول عنها ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦هـ : « أعظم مدن ديار بكر ، وأجلها قدراً وأشهرها ذِكرا »[٢] . ويبدو أن مدينة « آمِدْ » هذه كانت وسطا علميا راقيا حتى نُسب اليها خلقٌ كثيرٌ من أهل العلم في كل فن[٣] . ولا تحدّثنا المصادر بشيء عن أسرة الآمدي ، أو عن صلة لها بآمد ، غير أن ولادة أبي القاسم في البصرة تؤكّد أن أحد آبائه هاجر من آمد ، بحيث يعدّ أبو القاسم ـ كما سيأتي ـ بصريا في ولادته ونشأته ، وأن النسبة التي لحقته انما هي التي عرفت بها أسرته .

ب ـ اسمه ونسبه وكنيته : هو : الحسن بن بِشْر بن يحيى ، أبو القاسم الآمدي (٤) . وقد اتفقت جميع التراجم ـ بلا استثناء ـ على اسمه وكنيته ، أما ما ذكره الخوانساري (المتوفى سنة ١٣١٣ هـ) أن اسم جدّه « بحر » (٥)

---

(١) ياقوت ـ معجم البلدان ـ ج : ١ ، ص ٥٦ ، القفطي ـ انباه الرواة ج : ١ ، ص ٢٨٥ .

(٢) معجم البلدان ، ج : ١ ، ص : ٥٦ .

(٣) انظر : السمعاني ـ كتاب الأنساب ـ ص ١٥ ، معجم البلدان ج ١ ، ص ٥٦ .

(٤) الفهرست ص ١٥٥ ، معجم الأدباء ج ٨ ، ص ٧٥ ، السيوطي ـ بغية الوعاة ـ ص٢١٨

(٥) روضات الجنات ، ص ٢١٩ .

فلا أراه الا من قبيل التصحيف لتشابه اسمي « بحر » و « يحيى » في الرسم .

جـ ـ مراحل حياته :

١) المرحلة البصرية الأولى : عدّته كتب التراجم « من أهل البصرة »[١]. وبها ولد . قال ياقوت في خبر رفع اسناده الى أبي القاسم التنوخي عن أبيه أبي عليّ المحسّن أن مولد أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي بالبصرة [٢] . وذكر القفطي أن نشأته كانت بها أيضا [٣] . ولم تتحدث المصادر بشيء عن حياة الآمدي في هذه المرحلة ـ شأنه في ذلك شأن الكثير من الشخصيات التي تلقى عليها الأضواء بعد الشهرة والنبوغ .

٢) المرحلة البغدادية : يقول عنه ياقوت : « قدم بغداد يحمل عن الأخفش والحامض والزّجاج وابن دريد وغيرهم اللغة والنحو » [٤] . ويقول القفطي : « قدم بغداد وأخذ عن الحسن بن علي بن سليمان الأخفش وأبي اسحاق الزجّاج وأبي بكر بن دريد ، وأبي بكر بن السرّاج اللغة والأخبار [٥] » . وأضاف السيوطي الى هؤلاء الشيوخ ـ نفطويه [٦] .

فمتى كانت رحلة الآمدي الى بغداد ؟ وكم كان عمره حينذاك ؟ وما هي أسباب هذه الرحلة ؟

بالرجوع الى سنيّ وفيات الشيوخ الذين حمل الآمدي العلم عنهم ، نجد أن

---

(١) الفهرست ، ص : ١٥٥ ؛ معجم الأدباء جـ ٨ ، ص ٧٨ ؛ انباه الرواة جـ : ١ ، ص ٢٨٨ .

(٢) معجم الأدباء ، جـ : ٨ ، ص ٨٦ .

(٣) انبه الرواة ، جـ : ١ ، ص : ٢٨٧ .

(٤) معجم الأدباء ، جـ : ٨ ، ص : ٨٦ .

(٥) انباه الرواة ، جـ : ١ ، ص : ٢٨٥ .

(٦) بغية الوعاة ، ص : ٢١٨ .

أسبقهم وفاة كان أبو موسى الحامض وذلك سنة ٣٠٥ هـ (١) وهذا يعيّن أن الآمدي وجد في بغداد في هذا العام نفسه ، أو قبيل هذا العام . وعلى أية حال فان هجرته الى بغداد تكون قد تمتّ قبل وفاة أبي موسى الحامض بمدّة من الصعب تحديدها .

وليس من السهل أيضا تحديد سنّه يوم ترك البصرة مهاجرا الى بغداد ، ولكن صحبته للمشايخ مثل أبي اسحاق الزجّاج المتوفى سنة ٣١٠ هـ(٢) وطبقته(٣)، وسمعه كتاب القوافي عـــلى « نفطويه » سنة ٣١٣ هـ (٤) ، أي بعد مـــا يزيد على ثماني سنوات من هجرته قد يجعل الباحث يفترض أنه كان حينئذ في سن النضج . وبعد أربع سنوات من هذا التاريخ بدأ يتجه نحو دراسة شعر أبي تمام والبحتري(٥). ففي العام المذكور يكون الآمدي قد دخل مرحلة التأليف بعد مرحلة الطلب البغدادية .

غير أنه أثناء اقامة الآمدي في بغداد لم يقتصر على طلب العلم، وربما قدّرنا أن حاجته المادية قد ألجأته الى التكسب فعمل كاتبا عند أبي جعفر هارن بن محمد الضبيّ خليفة أحمد بن هلال صاحب عمان : بحضرة المقتدر بالله ووزارته ، ولغيره من بعده – كما يقول ياقوت (٦) . أما أبو جعفر المذكور فكان من أهل

---

(١) الخطيب البغدادي – تاريخ بغداد – ج: ٩ ، ص ٦١ ، ابن الأنباري – نزهة الألباء ، ص : ١٦٦ .

(٢) الفهرست ، ص : ٦٠ .

(٣) إنباه الرواة ، ص ٢٨٥ .

(٤) معجم الأدباء ، ج: ٨ ، ص: ٧٥ .

(٥) أنظر : الموازنة ، ج : ١، ص: ٥٢ .

(٦) معجم الأدباء ، ج: ٨ ، ص : ٨٦ ، وانظر : إنباه الرواة ج : ١ ، ص ٢٨٨ .

عُمان ثم اتخذ بغداد دار اقامة . يقول فيه الخطيب البغدادي : « ساد بعمان في حداثة سنه ثم خرج منها فلقي العلماء بمكة والكوفة والبصرة . ورحل الى مدينة السلام سنة خمس وثلاثمائة ، فعلت منزلته عند السلطان وارتفع قدره وانتشرت مكارمه وعطاياه ، وانتابه الشعراء من كلّ موضع وامتدحوه وأكثروا ، وأجزل صلاتهم ، وأنفق أمواله في برّ العلماء والإفضال عليهم ، وفي صلات الأشراف من الطالبيين والعبّاسيين وغيرهم . واقتناء الكتب المنسوبة ، وكان مبرّزا في العلم باللغة والشعر والنحو ومعاني القرآن والكلام ، وكانت داره مجمعا لأهل العلم في كلّ فن الى أن توفي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة »[1] .

متى التقى الآمدي بأبي جعفر الضبيّ ؟ ان أبا جعفر هذا قد مرّ بالبصرة ودخل بغداد – كما تقدّم – سنة ٣٠٥ هـ ، وفي هذا العام نفسه كان الآمدي ببغداد فهل يصحّ أن يفترض الدارس بأن الرجلين التقيا في البصرة ، وأنهما تصاحبا في رحلتهما الى بغداد ، وأن مفارقة الآمدي للبصرة انما كانت باقتراح من الضبيّ وتشجيعه ، أو أن مجلس أبي جعفر الذي كان « مجمعا لأهل العلم » هو الذي عرّف الآمدي الى الضبيّ ، فلما رأى هذا حسن خطّه – وكان الآمدي يكتب خطا حسنا من خطوط الأوائل ، وخطه كما يقول القفطي أقرب خط الى الصحة وكتب الكثير[2] – استخدمه كاتبا عنده ؟ وبذلك يكون الآمدي قد استطاع أن يجمع بين عمله في خدمة أبي جعفر ، وبين حضور مجالس العلم والعلماء في دار السلام خصوصا وأن أبا جعفر كان ينفق أمواله في برّ العلماء والافضال عليهم .؟

أيّاً كان الأمر ، فلاتعارض أن يقال : ان الآمدي كان يطلب العلم وهو

---

(١) تاريخ بغداد – ج: ١٤ ، ص ٣٣ ، وانظر : ابن الجوزي - المنتظم – ج : ٦ ، ص : ٣٥٦ . .

(٢) إنباه الرواة ، ج: ١ ، ص : ٢٨٥ .

موظف عند الضبي ، أو أنه طلب العلم أولا ثم وجد الوظيفة الصالحة التي مكّنته خلالها من الاستمرار في الدرس والتحصيل ، وربما في الانصراف الى التاليف .

ولنعد الى عبارة ياقوت مرة أخرى : « وكان يكتب بمدينة السلام لأبي جعفر هارون بن محمد الضبي خليفة أحمد بن هلال صاحب عمان بحضرة المقتدر بالله ووزارته ، ولغيره من بعده » [١] .

ان هذه العبارة تثير عددا من التساؤلات ، فمن المعلوم أن المقتدر قتل في سنة ٣٢٠ [٢] هـ فماذا كانت علاقة الضبي بالمقتدر ؟ ان الكتب التاريخية التي تتحدث عن الوزراء المتعاقبين في عصر ذلك الخليفة أشارت الى أن أحمد بن هلال صاحب عمان ــ كان أمير همذان وماه البصرة وماه الكوفة في وزارة أبي الحسن بن الفرات للخليفة المقتدر . [٣] وذكر ابن الجوزي أنه في سنة ٣٠٥ هـ ورد على المقتدر هدايا جليلة من أحمد بن هلال صاحب عمان [٤] ولكن هذه المصادر لا تشير الى أن هارون بن محمد الضبي كان وزيرا ، وكذلك فإن الخطيب البغدادي لم يذكر أن الضبي كان وزيرا وكلّ ما ذكره أن الرجل « ارتفعت منزلته عند السلطان وارتفع قدره » . ثم ما معنى قول ياقوت « ولغيره من بعده » ؟ هل تعني أن الآمدي كتب لغير الضبي قبل وفاة الأخير ، وهي فيما يقول الخطيب كانت سنة ٣٣٥ هـ ، أو أن الآمدي ترك الكتابة للضبي بعد سنوات من الخدمة ثم لأمر ما تخلى عن الكتابة له وكتب لغيره ؟ إنّ تقرير ذلك كان يفيدنا في التعرف الى التاريخ الذي غادر به بغداد عائدا الى موطنه الأول . أما والعبارة على هذا الغموض فلا يستنتج منها الا أن الآمدي لم يغيّر حرفته أي الكتابة . وان تغيّر الشخص الذي كان يعمل من أجله .

---

(١) انظر صفحة ١٩ ، هامش رقم ٦ من هذا البحث .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٧٠ .

(٣) هلال بن المحسن الصابىء ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، ص ١٥٤ — ١٥٥ .

(٤) المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٤٥ .

ثم ما هي طبيعة هذه الكتابة؟ أعني هل يصح أن يطلق عليها اسم كتابة ديوانية رسمية أو أنها تعني نسخ الكتب ؟ ان عدم وضوح الصلة بين الضبي والحياة السياسية في بغداد يجعلني أرجح الثانية وخاصة اذا تذكرنا أن الضبي كان معروفا باقتناء الكتب المنسوبة ، وكان الآمدي ماهراً في الخط ـ كما يقول القفطي[1] ولهذا كان الضبي وربما غيره ـ حريصين على اقتناء الكتب بخطه : كل هذا يؤدي الى القول بأن الآمدي عمل في بغداد « وراقاً » ولكنه كان يتميز عن غيره من الوراقين بالتزامه التوريق لشخص معين ، وهذا يشير الى أن رزقه كان مكفولا ، وأنه كان يمارس النسخ دون أن تضطره الظروف للانقطاع عن العمل .

٣) المرحلة البصرية الثانية : رجع الآمدي الى البصرة وهناك كتب لأبي الحسن أحمد ، وأبي أحمد طلحة بن الحسن بن المثنى[2] . فمتى كان ذلك ؟

ان المصادر لم تشر الى هذين الرجلين : ولعلهما كانا من ذوي الجاه والسلطان في البصرة ، فقد ذكر الآمدي أنه نصح أبا أحمد طلحة بن الحسن بن المثنى أن يهرب من وجه أبي القاسم البريدي بسبب ما كان بينهما من عداء وتدبير كل واحد منهما على صاحبه في القبض عليه ، فما مضت الايام حتى قبض البريدي عليه وقتله[3] . وتذكر كتب التاريخ أنه في سنة **٣٣٢**هـ توفي أبو عبد الله البريدي وانتصب أخوه أبو الحسين مكانه ؛ فثار عليه ابن أخيه أبو القاسم عبد الله بن عبد الله البريدي وتولى مكانه بعد أن هرب الأول الى هجر[4] فهل كان أبو أحمد طلحة بن الحسن بن المثنى من أنصار أبي الحسين البريدي ، وأن أبا القاسم البريدي حين هزم أخاه قضى على خصومه وفيهم أبو أحمد

---

(١) انباه الرواة ، ج : ١ ، ص : ٢٨٥ .

(٢) معجم الأدباء ، ج : ٨ ، ص ٨٦ .

(٣) نفس المصدر ، ص : ٩٠ – ٩٣ .

(٤) الهمداني : تكملة تاريخ الطبري – ص : ١٧٢ ، البداية والنهاية ج ، ١١ ، ص : ٢٠٨ .

طلحة؟ اني ارجّح ذلك لأن هذه هي الفرصة الوحيدة التي أتيحت لأبي أحمد أن يتمكن من السلطة بحيث يتدبرّ لأبي القاسم البريدي للقضاء عليه ، وما سوى ذلك فقد كانت البصرة تحت حكم أبي عبد الله البريدي والد أبي القاسم حتى سنة ٣٣٢ ه الى أن كان من ثورة أبي الحسين البريدي ، ثم استيلاء أبي القاسم البريدي على الحكم حتى سنة ٣٣٦ه حيث حاربه معزّ الدولة البويهي ونفاه الى بغداد . وبقي فيها الى حين وفاته سنة ٣٤٩ه [١] .

وكتب الآمدي بعد ذلك لقاضي البلد « أبي جعفر بن عبد الواحد الهاشمي [٢] على الوقوف التي تليها القضاة وكان يحضر به في مجلس حكمه ، ثم لأخيه أبي الحسن محمد بن عبد الواحد لما وليّ قضاء البصرة ثم لزم بيته الى أن مات » [٣]. ويذكر ياقوت أنـــه كان قد وّلي القضاء بالبصرة في سنة نيّف وخمسين وثلاثمائة رجل لم يكن عندهم بمنزلة أبي الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي [٤] وبذلك يكون الآمدي قد ترك العمل في هذه السنة ولزم بيته الى أن مات .

د ـ وفاته : اتفقت كتب التراجم على أن وفاة ابي القاسم الآمدي كانت في البصرة [٥] . الا أنها اختلفت في تحديد سنة الوفاة . فقد أورد ابن النديم (ت ٣٨٥ه) في ترجمة حياته مانصّه : « من أهل البصرة ، قريب العهد ، وأحسبه حيا » [٦] . وقد أورد ياقوت نص ابن النديم السابق . ولكنه عقّب

---

(١) الهمداني ، ص ٢١٧ وما قبلها .

(٢) أنظر نسبه في : السمعاني – كتاب الأنساب ، ص : ٥٨٨ .

(٣) معجم الأدباء ج : ٨ ، ص ٨٦ – ٨٧ ، إنباه الرواة ج ١ ، ص ٢٨٥ .

(٤) معجم الأدباء ج ٨ ، ص ٨١ .

(٥) نفس المصدر ج ٨ ، ص ٧٥ ، إنباه الرواة ج ١ ، ص ٢٨٥ ، الزركلي – الاعلام – ج ٢ ، ص ١٩٩ .

(٦) الفهرست ، ص ١٥٥ .

عليه بقوله : « ثم وجدت كتاب القوافي للمبرّد بخط أبي منصور الجواليقي ذكر في اسناده أن عبد الصمد بن حنيش النحوي قرأه على أبي القاسم الآمدي في سنة احدى وسبعين وثلاثمائة »[١] . وقال ياقوت ايضاً : « وفي تاريخ هلال ابن المحسّن في هذه السنة يعني في سنة سبعين : مات الحسن بن بشر الآمدي »[٢] . وقد أورد القفطي (ت٦٤٦ هـ) أن وفاة أبي القاسم الآمدي كانت سنة ٣٧٠ هـ[٣] . أما السيوطي (ت٩١١هـ) فقد ذكر أن وفاة الآمدي كانت سنة ٣٧١ هـ[٤] ، والى مثل هذ الرأي ذهب حاجي خليفة[٥] (ت ١٠٦٧ هـ) والخوَنساري[٦] (ت١٣١٣ هـ) .

وأجد نفسي ميّالا الى ترجيح وفاة الآمدي سنة ٣٧٠هـ للاسباب الآتية :

١) ان الفهرست — وهو أقرب المصادر عهدا بأبي القاسم الآمدي — لم يذكر سنة الوفاة . وقد أحسن ابن النديم في تحرزه بذكر كلمة « أحسب » لعدم تيقنه من ذلك .

٢) ان ياقوتا قد نقل عن تاريخ هلال بن المحسن (٣٥٩ — ٤٤٨ هـ) وفيه أن وفاة الآمدي كانت سنة ٣٧٠ هـ . ويعتبر تاريخ هلال أقرب المصادر عهدا بالآمدي بعد الفهرست . وقد وثّق ياقوت هلالا هذا قال : « وهو حفيد أبي اسحاق الصابي الكاتب المشهور — كان أديبا كاتبا فاضلا له معرفة بالعربية واللغة »[٧] .

---

(١) معجم الأدباء ، ج ٨ ، ص ٧٥ .
(٢) نفس المصدر وصفحة .
(٣) انباه الرواة ، ج ١ ، ص ٢٨٨ .
(٤) بغية الوعاة ، ص ٢١٨ .
(٥) كشف الظنون ، ج ٢ ، ص ١٦٣٧ .
(٦) روضات الجنات ، ص ٢١٩ .
(٧) معجم الأدباء ج ١٩ ، ص ٢٩٧ وقد طبع بعض أجزاء من تاريخ هلال هذا وألحق مع كتاب « الوزراء والكتاب » طبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، والجزء الذي يذكر الآمدي لا يزال مفقودا .

٣) لا عبرة فيما ورد على كتاب القوافي للمبرّد بخط أبي منصور الجواليقي من أنه قرىء على الآمدي سنة ٣٧١ هـ ، لأن أبا منصور هذا يعتبر متأخرا في الزمن نسبيا (٤٦٦ – ٥٣٩) [١]. وقد يكون الخطأ من وهم النسّاخ .

٤) ان ياقوتا وقد عرض للروايات المختلفة المتعلقة بحياة الآمدي في « معجم الأدباء » عاد وذكر في « معجم البلدان » أن وفاته كانت سنة (٣٧٠ هـ). [٢]

٥) ان القفطي – ويعتبر كتابه « انباه الرواة » أقرب كتب التراجم التي تلت ياقوتا يذكر أن وفاة الآمدي كانت سنة ٣٧٠ هـ. وليس في ترجمة القفطي للآمدي ما يوحي الى أنها نقلت عن ياقوت .

٦) يبدو أن السيوطي قد تردد بأن وفاة الآمدي كانت سنة ٣٧٠ هـ بعد اطلاعه على رواية ياقوت عن أبي منصور الجواليقي فذهب الى أن الوفاة كانت سنة ٣٧١هـ. ومما يؤكد ذلك أن رواية السيوطي تكاد تكون طبق الأصل عن الترجمة في معجم « الأدباء » ؛ وكذلك الترجمة في « روضات الجنّات » للخوانساري .

هذا وقد ذكر السيد أحمد صقر أن وفاة الآمدي كانت سنة ٣٧٠ هـ وذلك في تحقيقه كتاب الموازنة [٣]. ولا ندري هل استند في ذلك الى مخطوطات كتاب « الموازنة » أو الى كتب التراجم . وقد جاء على صدر الجزء المصوّر – من كتاب الموازنة – نسخة دار الكتب المصرية ترجمة للآمدي نقلا عن كتاب « طبقات النحويين واللغويين » لأبي المحاسن عبد الباقي بن متى القرشي اليماني [٤] أن وفاة أبي القاسم الآمدي كانت سنة ٣٧٠ هـ في خلافة الخليفة الطائع رحمه الله .

---

(١) وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٤٢٦ .

(٢) معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٧ .

(٣) الموازنة ، ج ١ ، ص ٣ .

(٤) هذا الكتاب غير مطبوع .

٤ . شيوخه :

سنحاول فيما يلي أن نلمّ بشيء من ثقافة هؤلاء الشيوخ الذين أجمعت كتب التراجم على تتلمذ الآمدي لهم [١] . وبالتالي لنتلمّس آثار هذه التلمذة في ثقافة الآمدي وآثاره الأدبية .

١) الحامض : هو سليمان بن محمد بن موسى النحوي البغدادي . كان أحد المذكورين من العلماء بنحو الكوفيين ، أخذ عن أبي العبّاس ثعلب ،وهو المقدّم من أصحابه ، ومن خلفه بعد موته ،وجلس مجلسه وتوفي في بغداد سنة ٣٠٥ هـ [٢] .

٢) الزجّاج (ت٣١٠هـ) : هو أبو اسحاق ابراهيم بن محمد السرّي الزجّاج أقدم أصحاب المبرّد قراءة عليه ، وكان من يريد أن يقرأ على المبرّد يعرض عليه أولا ما يريد أن يقرأه [٣] .

وقد استشهد الآمدي بأبي اسحاق الزجّاج في موضعين من كتاب «الموازنة» أولهما : في شرح الآية الكريمة (ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة

(١) راجع الصفحة ١٨ ، هامش رقم ٤ ، ٥ ، ٦ ، من هذا البحث ..

(٢) أنظر : الفهرست ص ٧٩ ، نزهة الألباء ص ١٦٥ ، تاريخ بغداد جـ ٩ ، ٦١ ، الزبيدي – طبقات النحويين واللغويين– ص ١٧٠ ، وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ١٤٠ ، بغية الوعاة ، ص ٢٦٢ .

(٣) الفهرست ، ص ٦٠ .

فما فوقها) يقول الآمدي : «فما فوقها في الصغر . وهذا قول أبي العبّاس محمد بن يزيد المبرّد وأبي اسحق الزجّاج »[1] .

وثانيهما :في قول الله عزّ وجلّ (هل أتى على الإنسان حين من الدهر) يقول الآمدي : « وقد قال أبو اسحاق الزجّاج وجماعة من أهل العربية ... معناه ألم يأت ؟ على سبيل التقرير »[2] .

والقصة التي رواها أبو القاسم التنوخي عن أبي القاسم الآمدي أن أبا اسحق الزجّاج حدّثه قال ... »[3] تؤكد صلة الآمدي بأبي اسحق وأخذه عنه .

٣) الأخفش (ت ٣١٥ هـ) : هو أبو الحسن علي بن سليمان ، أخذ عن أبي العبّاس ثعلب ، وأبي العبّاس المبرّد . وكان راوية للأخبار[4] .

ويبدو أن صلة الآمدي بأبي الحسن الأخفش أوثق من صلته بغيره من الأساتذة ، فقد روى عنه كثيراً ، ومعظم الروايات التي رفع اسنادها الى أبي العبّاس ثعلب ، وأبي العبّاس المبرد هي رواية عن استاذه الأخفش . وقد ذكر الآمدي أنه قرأ على استاذه الأخفش–كتاب « الكامل » للمبرد[5] .وكثيراً ما ينقل الآمدي آراء أستاذه بقوله : « أنشدنا أبو الحسن الأخفش قراءة عليه ، أو أخبرنا ، أو حدّثنا[6] مما يؤكد كثرة ملازمة الآمدي له وأخذه عنه .

---

(١) الموازنة : جـ ١ ، ص ١٧٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٠٤ .

(٣) راجع : معجم الأدباء جـ ٨ ، ص ٧٨ – ٨٠ ، وانباه الرواة ، جـ ١ ،ص ١٦٥ .

(٤) الفهرست ، ص ٨٣ .

(٥) الموازنة ، جـ ١ ص ٥٢٤ .

(٦) أنظر : الموازنة جـ ١ ، ص ٢١ ، ٢٣ ، ٣٣ ، ٩١ ، ٢٥٨ ، ٢٧٠ ، والموازنة جـ ٢ ، ص ١٦ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ١٢٦ ، ٢٨٠ ، والمؤتلف والمختلف ، ص ٢٨ ، ٩٠ ، ١٠٩ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨٦ .

٤) ابن السرّاج (ت ٣١٦هـ) : هو أبو بكر محمد بن السرّي بن سهل البغدادي النحوي أخذ الأدب عن أبي العبّاس المبرّد ، واليه انتهت الرياسة في النحو بعد موت الزجّاج [١].

٥) ابن دريد (ت٣٢١هـ) : هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، ولد بالبصرة سنة ٢٢٣هـ وفيها تأدّب وقرأ على علمائها اللغة وأشعار العرب ثم قدم بغداد سنة ٣٠٨هـ وأقام بها الى أن مات سنة ٣٢١هـ [٢] . يقول عنه أبو الطيّب اللغوي : « انتهى اليه علم لغة البصريين ، وكان أحفظ الناس وأوسعهم علما وأقدرهم على شعر ، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر ، وأبي بكر بن دريد ... وتصدّر في العلم ستين سنة » [٣].

ومن النصوص التي وردت عرضاً والتي توثّق صلة الآمدي بأبي بكر بن دريد وأخذه عنه ما يلي :

١ـ في ترجمة المرار الجرشي يقول الآمدي : « شاعر أنشدنا له أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد » [٤].

٢ـ وأورد ابن الأنباري ما صورته : « حكى أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي قال : سألت أبا بكر بن دريد عن الكاغد ، فقال : يقال بالدال المهملة وبالذال المعجمة وبالظاء المعجمة » [٥] ،الى غير ذلك من الروايات المختلفة [٦] .

---

(١) أنظر : الفهرست ص ٦٣ .

(٢) أنظر : نفس المصدر ، ص ٦١ ، معجم الأدباء جـ ١٨ ، ص ١٢٨ ، وفيات الأعيان جـ ٣ ، ص ٤٥ .

(٣) مراتب النحويين ، ص ٨٤ .

(٤) المؤتلف والمختلف – نشر فراج – ص ٢٦٩ .

(٥) نزهة الألباء ص ١٧٦ ، والنص بصيغة أخرى موجود في « درة الغواص » للحريري ص ٢١ .

(٦) أنظر : الموازنة جـ ١ ، ص ١٠١ ، والمؤتلف والمختلف – نشر كرنكو ص١٦٠ .

٦) نفطويه (ت٣٢٣ هـ) : هو أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفه العتكي الأزدي ، أخذ عن أبي العبّاس ثعلب ، وأبي العبّاس المبرد [١] . ويقول الزبيدي : « كان متفننا في الأدب حافظاً لنقائض جرير والفرزدق وشعر ذي الرّمة وغيرهم من الشعراء » [٢]

ومن النصوص التي توثّق صلة الآمدي بنفطويه وأخذه عنه ما يلي :

١- في ترجمة أعشى بني قيس بن ثعلبة يقول الآمدي : « كان أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي النحوي المعروف بنفطويه أملى علينا أسماء الأعاشي فذكر ثمانية منهم أعشى بني قيس بن ثعلبة » [٣] .

٢- ما أورده ياقوت بأن الآمدي سمع كتاب القوافي لأبي العبّاس المبرّد على نفطويه سنة ٣١٣هـ [٤] .

---

(١) أنظر : الفهرست ص ٨١ ، تاريخ بغداد ج ٦ ص ١٥٩-١٦٢ ، وفيات الأعيان ج : ١ ص ٣٠ .

(٢) طبقات النحويين ص ١٧٢ .

(٣) المؤتلف والمختلف ، نشر كرنكو ، ص ١٢ .

(٤) راجع الصفحة ١٩ هامش رقم ٤ من هذا البحث .

٥ . رواة الآمدي :

١) أبو علي محمد بن العلاء السجستاني : ذكره الآمدي في مواطن متعددة من كتاب الموازنة [١] . ويبدو أن أبا علي هذا هو حلقة الوصل بين الآمدي وأبي سعيد السكري (ت٢٧٥هـ) الذي يكثر الآمدي من الرجوع اليه في كتابي « الموازنة » و « المؤتلف والمختلف » . فقد ذكر الخطيب التبريزي في شرحه ديوان أبي تمام أنه كان قد قرأ شعر أبي تمام على الشيخ أبي القاسم القصباني النحوي البصري والذي روى له ديوان أبي تمام عن أبي عليّ عبد الكريم بن الحسن السكري النحوي اللغوي عن أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي عن أبي عليّ محمد بن العلاء السجستاني عن أبي سعيد السكري عن أبي تمام ، بعضه قراءة عليه ، وبعضه سماعا منه وبعضه اجازة [٢] .

٢) أبو الحسن موسى بن سليمان الهمداني : ذكره الآمدي في كتابيه « الموازنة » [٣] والمؤتلف والمختلف » [٤] . ولا تحدثنا كتب التراجم بشيء عنه ، غير أن الآمدي يرفع رواياته الى أبي دلف هاشم بن محمد الخزاعي نقلا عن ابن الأعرابي .

---

(١) أنظر : الموازنة جـ : ١ ص ١٢ ، ١٣ .

(٢) ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، جـ ١ ، ص ٣ .

(٣) الموازنة : جـ : ١ ، ص ٤٦ - ٤٧ .

(٤) المؤتلف والمختلف ، نشر كرنكو ، ص ١٧٧ .

٦ . مؤلفات الآمدي :

لم يصلنا من مؤلفات الآمدي الا كتابا « الموازنة » و« المؤتلف والمختلف » وهما مطبوعان ، وسأحاول فيما يلي تبيين هذين المؤلفين والكشف عن طبيعتهما والتطرق الى ما نسب اليه من الكتب الأخرى التي — مع الأسف الشديد — لم تصلنا حتى نبدي حكمنا عليها .

١) كتاب المؤتلف والمختلف في اسماء الشعراء [١] : وقد سبق الآمدي الى هذا النوع من التأليف والتسمية أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي النحوي المتوفى سنة ٢٤٥هـ، في كتابه « المختلف والمؤتلف في أسماء القبائل »[٢] .

وقد طبع كتاب « المؤتلف والمختلف » للآمدي مرتين :

الاولى : نشره الدكتور فريتس كرنكو مع معجم الشعراء للمرزباني في القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ .

الثانية : نشره عبد الستار أحمد فرّاج في القاهرة سنة ١٣٨١هـ (١٩٦١م) .

طبيعة الكتاب : الكتاب أشبه بمعجم للشعراء وهو مختصر جدا ، ذكـــر فيه

---

(١) الفهرست صفحة ١٥٥ ، معجم الأدباء ج ٨ ، ص ٨٥ ؛ معجم البلدان ج ١ ، ص ٥٧ ، انباه الرواة ج ١ ، ص ٢٨٧ ، بغية الوعاة ص ٢١٨ .

(٢) كشف الظنون ج ٢ ، ص ١٦٣٧ .

الآمدي بعض النقاط المميّزة للشاعر ليسهل تفريقه عن غيره ،وغالبا ما يقتصر على حادثة واحدة من حياته أو خبر من شعره . وقد بيّن الآمدي سبب تأليفه لهذا الكتاب في تفريقه بين الأشهب بن رميلة وابن رميلة الضبي قال : «...ومن أجل ما يقع من الغلط في مثل هذه الأسماء المتفقة ألّفت هذا الكتاب» (١) .

الناقلون عن المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء : اعتمده شهاب الدين الخفاجي في كتابه « طراز المجالس» (٢) واعتمده الامام جلال الدين السيوطي (ت٩١١ ﻫ) في كتابه «شرح شواهد المغني » (٣) وذكره البغدادي (ت١٠٩٣ﻫ) في مصادره التي اعتمد عليها في تأليف كتاب « خزانة الأدب » (٤) وأشار الألوسي البغدادي الى النقل عن كتاب الآمدي » المؤتلف والمختلف» في ثلاثة مواضع (٥) . وقد أكثر المتأخرون من الرجوع اليه في التحقيق والنشر ومعارضة النصوص الأدبية .

القيمة الأدبية للكتاب : يعتبر كتاب « المؤتلف والمختلف » معجما للشعراء لا غنى لدارس الأدب عن الرجوع اليه لاسيّما وأن هنالك الكثير من الشعراء المقلّين الذين تشابهت أسماؤهم وصار من العسير الرجوع اليهم أو التفريق بينهم بعد أن فقدت أكثر دواوين الشعراء والقبائل ، ويتميز الكتاب بنوع خاص في التركيز على وفادة هؤلاء الشعراء على الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده . وقد حفظ لنا الكتاب الكثير من أسماء الرواة والمؤلفين والكتب

(١) المؤتلف والمختلف ، نشر كرنكو ، ص ٨ .

(٢) طراز المجالس ص ١٤١ — ١٤٤ .

(٣) شرح شواهد المغني ، المطبعة البهية ، مصر ١٣٢٢ ﻫ ص ٣ ، ص ٥ .وأنظر :
Brocklemann (Encycl. of Islam, vol. I. Column I, p. 326).

(٤) خزانة الأدب ، ج ١ ، ص ١٤

(٥) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . ج ٢ ، ص ١٣٧ ، ١٣٧ ، ١٤٩ .

والدواوين التي عفّى عليها الزمن وأصبحت أثرا بعد عين والتي تعتبر سفراً جليلا لمؤرّخي الحياة الأدبية ؛ ولا تخفى قيمة الكتاب في مقارنة النصوص القديمة وتصحيح أسماء الشعراء في التحقيق والنشر .

٢) كتاب « الموازنة » وسنعرض له فيما بعد .

٣) كتاب في أن الشاعرين لا تتفق خواطرهما [١] .

٤) كتاب نثر المنظوم [٢] .

٥) كتاب ما في عيار الشعر لابن طباطبا من الخطأ [٣] .

٦) كتاب فرق ما بين الخاص والمشترك من معاني الشعر [٤] . قال ياقوت في شرحه له : « تكلم فيه على الفرق بين الألفاظ والمعاني التي تشترك العرب فيها ولا ينسب مستعملها الى السرقة ، وان كان قد سبق اليها . وبين الخاص الذي ابتدعه الشعراء وتفرّدوا به ومن اتبعهم و ما قصّر في ايضاح ذلك وتحقيقه » [٥] .

٧) كتاب تفضيل شعر امرىء القيس على الجاهليين [٦] .

٨) كتاب معاني شعر البحتري [٧] .

---

(١) الفهرست ص ١٥٥ ، معجم الأدباء ج ٨ ، ص ٨٥ ، انباه الرواة ج ١ ، ص ٢٨٨ .

(٢) نفس المصادر والصفحات .

(٣) نفس المصادر والصفحات .

(٤) نفس المصادر والصفحات .

(٥) معجم الأدباء ، ج ٨ ، ص ٨٨ .

(٦) الفهرست ص ١٥٥ ؛ معجم الادباء ، ج ٨ ، ص ٨٥ ، انباه الرواة ، ج ١ ص ٢٨٨

(٧) نفس المصادر والصفحات .

٩) كتاب الرّد على ابن عمّار فيما خطّأ فيه أبا تمّام (١). وابن عمّار هذا هو أبو العبّاس أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمّار القطربلّي المعروف بالعزيز (٢) . وقد ذكر الآمدي كتاب الرد على ابن عمّار في « الموازنة » وخيرّ القارىءَ بين أن يعتبره جزءا من كتاب « الموازنة » أو أن يعتبره كتابا منفصلا (٣) .

١٠) كتاب شدّة حاجة الانسان الى ان يعرف نفسه (٤) .

١١) كتاب فعلت وأفعلت في النحو . (٥) الذي يقول عنه ياقوت : « غاية لم يصنّف مثله » (٦) .

١٢) كتاب الحروف من الأصول في الأضداد (٧) . يقول ياقوت : « رأيته بخطه في نحو مائة ورقة » (٨) .

١٣) كتاب ديوان شعره (٩) . نحو مائة ورقة (١٠)

---

(١) الفهرست ص ١٥٥ ؛ معجم الأدباء ج ٨ ، ص ٨٥ ، انباه الرواة ج ١ ، ص ٢٨٨ .

(٢) الموازنة ، ج ١ ، ص ١٣٥ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) الفهرست ص ١٥٥ ، معجم الأدباء ج ٨ ، ص ٨٥ ، انباه الرواة ج ١ ، ص ٢٨٨ .

(٥) معجم الأدباء ج ٨ ، ص ٨٦ ؛ بغية الوعاة ص ٢١٨ هذا وقد سبق الآمدي نحاة ألفوا في هذا الموضوع نذكر منهم - الزجاج (راجع : الفهرست ، ص ٦١ ، ابن الأنباري ص ١٦٧) وابن السراج (راجع الفهرست ، ص ٦٣).

(٦) معجم الأدباء ، ج ٨ ، ص ٨٦ .

(٧) معجم الأدباء ، ج ٨ ، ص ٨٦ انباه الرواة ، ج ١ ، ص ٢٨٧ .

(٨) معجم الأدباء ، ج ٨ ، ص ٨٦ .

(٩) نفس المصدر والصفحة ؛ انباه الرواة ، ج ١ ، ص ٢٨٨ .

(١٠) معجم الأدباء ، ج ٨ ، ص ٨٦ .

١٤) كتاب الأبيات المفردة [١] .

١٥) كتاب معاني شعر أبي تمام [٢] ، وقد أشار ابن المستوفي الى الكتابين الأخيرين في كتابه « النظام » [٣] . وأشار الخطيب التبريزي الى كتاب « معاني شعر أبي تمام » [٤] .

١٦) معجم الشعراء . ذكره بروكلمان نقلا عن التيجاني في « التحفة » ص ١٧٩ ، [٥] ولم نهتد الى كتاب التحفة هذا .

١٧) كتاب شرح الحماسة لأبي تمام — ذكره اسماعيل باشا البغدادي في كتابه هدية العارفين — المجلد الأول . صفحة ٢٧١ .

١٨) شرح ديوان المسيّب ابن علس — ذكره السيوطي في كتابه « شرح شواهد المغني » صفحة ٤١ [٦] .

١٩) وأضاف العينيُ أبا القاسم الآمدي مع جامعي أشعار الأعشى الكبير ميمون بن قيس [٧] .

٢٠) كتاب الشعراء المشهورين : وقد أشار اليه الآمدي في كتاب « المؤتلف والمختلف » في المواضع التالية :

---

(١) ديوان أبي تمام — شرح الخطيب التبريزي — ج ١ ، ص ٢٥ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) نفس المصدر ، ص٣ .

(٥) تاريخ الأدب العربي ، ج ٢ ، ص ١٧٧ .

(٦) وقد أشار الى ذلك بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٢ ، ص ١٧٧ .

(٧) ديوان الأعشى . تحقيق جاير - المقدمة ص ٢١ ، وانظر : ديوان الأعشى شرح الدكتور محمد حسين ، طبعة مصر ، المقدمة صفحة (ل) . وقول العيني نقلا عن ديوان الأعشى مخطوطة مكتبة باريس Suppl. Ar. 2168 ج ٢ ، ص ٢٩٣ ، س ١٤ .

أ ـ في ترجمة حياة الأشهب بن رميلة . قال الآمدي : « وقد ذكرت أخباره وأشعاره في كتاب الشعراء المشهورين » (١) .

ب ـ في ترجمة حياة الأخضر المهلّبي قال الآمدي : « وقد ذكرت أخباره ومختار شعره مع بني هاشم في أشعار المشهورين » (٢) .

جـ ـ وعن عمرو بن أحمر الباهلي قال الآمدي : « وقد ذكرت حاله وأشعاره مع الشعراء المشهورين » (٣) .

د ـ وعن الأحوص بن أبي الأفلح قال الآمدي : « وقد ذكرت أشياء من أخباره ونتفا من شعره مختارة في كتاب المشهورين » (٤) . وقد أشار بروكلمان الى هذا الكتاب بالاستدلال من المؤتلف والمختلف » (٥) .

٢١) كتاب الأمالي ، ذكره الحريري قال : « حكى أبو القاسم الآمدي في أماليه عن أبي عثمان المازني قال ... » (٦) .

٢٢) كتاب الرباب ، ذكره الآمدي ،في « المؤتلف والمختلف » حين ترجم لحنيفة بن طريف العكلي الراجز قال : « وهو الذي راجز ليلى الأخيلية وفضحها في قصّة قد ذكرتها في كتاب الرباب » (٧) .

٢٣) كتاب أشعار بني يربوع ، ذكره الآمدي في « المؤتلف والمختلف »

---

(١) المؤتلف والمختلف ، نشر كرنكو ، ص ٣٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٥ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٧ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٤٨ .

(٥) تاريخ الأدب العربي ، جـ ٢ ، ص ١٧٧ .

(٦) درة الغواص ، ص ٣٨ ، وانظر مقال بروكلمان في
Encycl. of Islam. Vol. I, p. 326.

(٧) المؤتلف والمختلف ، نشر كرنكو ، ص ٩٧ ،وقد أشار اليه بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، جـ ٢ ، ص ١٧٧ .

حين عرض لترجمة حياة الأحوص زيد بن عمر من بني يربوع قال : «...وله في كتاب بني يربوع أشعار مما تنخلته من قبائلهم » [١] .

٢٤) كتاب تبيين غلط قدامة بن جعفر في نقد الشعر : وقد أشار اليه الآمدي في مواضع مختلفة من كتاب الموازنة . ففي باب المطابق يقول الآمدي : « وهذا باب ، أعني المطابق – أبو الفرّج قدامة بن جعفر الكاتب في كتابه المؤلف في نقد الشعر « المتكافىء » وسمى ضربا من المتجانس المطابق ... وما علمت أن أحدا فعل هذا غير أبي الفرج [٢] . وفي موضع آخر يقول الآمدي في تبيين غلط قدامة في تفسير قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن زهير بن أبي سلمى أنه كان لا يعاظل بين الكلام ، « وقد ذكرت ذلك في كتاب بينّت فيه جميع ما وقفت عليه من سهوه وغلطه » [٣] . وفي موضع آخر يقول الآمدي : « وقد غلط بعض المتأخرين في هذا الباب ممن ألّف في « نقد الشعر » كتابا غلطا فاحشا ... وقد بينت قبح غلطه في هذا تبيينا شافيا مستقصى في كتاب منفرد » [٤] .

وقد أشار الى هذا الكتاب ابن حجة الحموي ، ففي باب ائتلاف اللفظ مع المعنى يقول : « هذا النوع ذكره قدامة ... وترجمه منفردا ولم يبيّن معناه وشرحه الآمدي وأطال » [٥]. هذا وقد اعتمد ابن أبي الاصبع المصري (ت٦٥٤هـ (كتاب الآمدي في تبيين غلط قدامة – في تأليفه كتاب « بديع القرآن » [٦] ، وذهب الى أنه شرع في تأليف كتاب سمّاه : الميزان في الترجيح بين كلام قدامة وبين خصومه « لم يتمه [٧] .

(١) المؤتلف والمختلف ، نشر كرنكو ، ص ٤٩ .
(٢) الموازنة ، ج ١ ، ص ٢٧٤ ، وقابل : قدامة ، نقد الشعر ، ص ٩٢ – ٩٣ .
(٣) الموازنة ، ج ص ٢٧٦ – ٢٧٧ ، وقابل : قدامة ، نقد الشعر ، ص ١٠٣ .
(٤) الموازنة ، ج ٢ ص ٣٦٨ .
(٥) خزانة الأدب ، ص ٤٣٧ ، وقابل قدامة ، نقد الشعر ، ص ٨٤ .
(٦) بديع القرآن ، ص ٨٤ .
(٧) نفس المصدر ، ص ١٦٦ .

٧ . تلامذة الآمدي :

١) أبو الحسين علي بن دينار : وقد ورد اسمه على صدر كتاب « المؤتلف والمختلف » رواه عن الآمدي للشيخ أبي غالب بن بشران [١] . وقد ترجم له ياقوت ، فهو : علي بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار الكاتب ، بصري الأصل واسطي المولد والنشأة ، وكان شاعرا مجيدا ، شارك المتنبي في أكثر ممدوحيه كسيف الدولة بن حمدان وابن العميد وغيرهما . ولد سنة **٣٢٣** هـ وتوفي سنة **٤٠٩** هـ[٢] . وقد أشار ياقوت الى رواية ابن دينار لأبي غالب محمد بن بشران كتب أبي القاسم الآمدي [٣] .

٢) عبد الصمد بن حنيش : ذكره ياقوت في صدد ترجمته لأبي القاسم الآمدي قال : » وجدت كتاب القوافي بخط أبي منصور الجواليقي ذكر في اسناده أن عبد الصمد بن حنيش النحوي قرأه على أبي القاسم الآمدي «[٤] وقد ذكره السيوطي قال : « عبد الصمد بن أحمد بن حنيش بن القاسم الخولاني الحمصي أبو القاسم ... وقد حكى عن المتنبي وغيره » [٥] .

---

(١) المؤتلف والمختلف ، نشر كرنكو ، ص ٧ ، المؤتلف والمختلف ، نشر فراج ص (ك)

(٢) أنظر : معجم الأدباء ، ج ٥ ، ص ٢٧٨ – ٢٨٩ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٧٩ .

(٤) معجم الأدباء ، ج ٨ ، ص ٧٥ .

(٥) بغية الوعاة ، ص ٣٠٦ .

٣) أبو علي : عبد الكريم بن الحسن بن الحسين بن حكيم السكري النحوي واللغوي . وقد سبقت اشارة الخطيب التبريزي الى رواية أبي علي هذا عن أبي القاسم الآمدي [1] .

(١) لاحظ ص٣٠ هامش ٢ من هذا البحث .

الباب الثاني

كتاب الموازنة

أ) الحركة النقدية التي أثارها أبو تمام والبحتري :

ليست هنالك صورة واضحة لطفولة الشعر الجاهلي حتّى نقف على نشأة القصيدة الجاهلية وتكامل عناصرها الفنية . وما من شك في أن الشاعر القديم كان يأخذ فنّه بقيود ورسوم كثيرة تتناول اللفظ والموضوع والنهج العام (١) . وان من يرجع الى طوال « النماذج الجاهلية » كما يقول الدكتور شوقي ضيف ليلاحظ في وضوح أنها تأخذ نمطاً معيّناً في التعبير والأداء (٢) . ولا شك أن الأسوق الأدبية في الجاهلية عملت على تقارب أنماط الشعر وتبلور شخصية القصيدة العربية على الصورة التي وصلتنا قبيل الإسلام .

وذهب ابن سلّام الجمحي الى أن أول من قصّد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل (٣) . وأورد ابن قتيبة أن أول من قصّد القصائد انما ابتدأ بذكر الديار والدّمن والآثار ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد وفرط الصبابة ثم وصف الرحلة وما بها من فلوات ووحوش ومشاق وانتقل بعد ذلك

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص ٦ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) طبقات فحول الشعراء ، ص٢٣ .

الى الغرض الذي نظمت من أجله القصيدة [1] .

وقد بقي نهج القصيدة الجاهلية وشكلها الخارجي هذا متّبعا حتّى العصر العباسي حيث أخذ الذوق الأدبي يتبدّل نتيجة الاحتكاك الواسع الطويل مع الشعوب المتحضّرة المستقرّة والّتي لم تألف البرّ والتنقل والغزو ومطاردة الوحوش كلّ ذلك أدّى الى عدم استساغة التفجع والبكاء على الأطلال ، ووجدت طبقة من الشعراء ينزعون الى التجديد في فنّهم والثورة على الأساليب العربية القديمة . فبدلا من افتتاح القصائد بذكر الأطلال أراد أبو نواس استهلال القصائد بذكر الخمر :

صفةُ الطلولِ بلاغــةُ القدمِ فاجعلْ صفاتِك لابنةِ الكرمِ

وهذا أبو تمام يبدأ ملحمة فتح عموريّة بقوله :

السيف أصدق إنْباءً من الكتب في حدّه الحدُّ بين الجد واللعبِ

أما دوافع التجديد في شكل القصيدة الخارجي وان غذّتها الشعوبية فقد كانت نتيجة حتمية للانتقال من المجتمعات البدوية البدائية في العصر الجاهلي الى المجتمعات المتحضرة المستقرة في العصر العباسي ، وقد حاول أحد الشعراء المحدثين [2] في عصرنا التعبير عن وسائل الحضارة الحديثة بأساليب القدماء فجاء شعره نابيا. ومن عجب أن نجد بعض أنصار الشعر القديم كابن قتيبة ممن يرون أن الله لم يقصر الشعر على زمن دون زمن ، ولا خصّ به قوم دون قوم ، [3] يحظر على المحدثين التجديد في شكل القصيدة الخارجي بقول : « وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين ... فيقف على منزل عامر ، أو يبكي

---

(١) الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٢٠ .

(٢) الشاعر هو أحمد شوقي .

(٣) الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ١١ .

عند مشيّد البنيان لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر ، والرسم العافي ، أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير ، أو يرد على المياه العذاب الجواري لأن المتقدمين وردوا على الأواجن الطوامي ، أو يقطع الى الممدوح منابت النرجس والآس والزورد ، لأن المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والحنوة والعرارة » [١] .

هذا في شكل القصيدة الخارجي ، أما كيفية الصياغة فقد كان للعرب في جاهليتهم مذاهب في تأسيس الشعر والتصرّف في معانيه استأثرت بميل الرواة وأهل العلم بالشعر من شيوخ اللغة وأنصار الشعر القديم من النقاد . وبمضي الزمن نشأت مجموعة من القواعد والأسس التي لا يحكم للشاعر أو عليه بالاساءة أو بالاحسان الا بالفحص عنها ، وتأمل مأخذه منها ، ومدى شأوه فيها [٢] . هذه القواعد عرفت بعمود الشعر [٣] .

وقد لخص الشيخ أبو علي المرزوقي (ت٤٢١هـ) معايير عمود الشعر عند العرب في سبعة أبواب قال : « انهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف .. والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخيرّ من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى ،وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما » [٤] . وعقّب المرزوقي على ذلك بقوله : « فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب ، فمن لزمها بحقها وبنى شعره عليها ، فهو عندهم المفلق المعظم ، والمحسن المقدّم ، ومن لم يجمعها كلّها فبقدر سهمته منها يكون نصيبه من التقدّم

---

(١) الشعر والشعراء ج : ١ ، ٤ ، ص ٢٢ .

(٢) شرح الحماسة ، المقدمة ، ص ٣ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) نفس المصدر ، ص ٩ .

والاحسان ، وهذا أجماع مأخوذ به ومتّبع نهجه حتى الآن »[1] .

وكما حفظ ترتيب القصيدة شكلها الخارجي ، فقد حفظت هذه الأبواب تركيب القصيدة والبيت والقافية . ففي القصيدة كانوا يتوخون نوعا من الوحدة تربط اجزاء القصيدة وتجمع شتات الموضوعات فيها ، روي عن خلف الأحمر أنه قال : « أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج فتعلم من ذلك أنه قد أفرغ افراغا واحدا ، وسبك سبكا واحدا فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان »[2] . والى مثل هذا الرأي ذهب الجاحظ ، وأورد قول عمر لجأ لبعض الشعراء : أنا أشعر منك : قال : وبم ذاك ؟ قال : لأني أقول البيت وأخاه ، وأنت تقول البيت وابن عمه »[3] . وعاب رؤبة شعر ابنه فقال « ليس لشعره قران ، وجعل البيت أخا البيت اذا أشبهه وكان حقّه أن يوضع الى جنبه »[4] . والى مثل رأي الجاحظ ذهب ابن قتيبة[5] والآمدي[6] . وقد شبّه الحاتمي القصيدة العربية بالانسان في اتصال بعض اعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه في صحه التركيب غادر الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه .[7] .

وكان الرواة وشيوخ اللغة يفضلون البيت التام المستغني بمعناه عن غيره . فقد أورد ابن سلام الجمحي أن الفرزدق يفضل غيره من الشعراء في أنه كان أكثرهم بيتا مقلدا ، والمقلد البيت المستغني بنفسه المشهور الذي يضرب بـــه

---

(١) شرح الحماسة ، ص ١١ .

(٢) البيان و لتبيين ، ج ١ ، ص ٦٧ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٠٦ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٢٨ .

(٥) الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٣٤ .

(٦) الموازنة ، ج ١ ، ص ٨١ .

(٧) زهر الآداب ، ج ٣ ، ص ١٧ . وأنظر الحاتمي ، النقد الأدبي ، ص ٨٨ .

المثل [١] . وذلك لحاجتهم الى شوارد الأبيات وسوائر الأمثال . والى ذلك الرأي يذهب الآمدي [٢] والقاضي الجرجاني [٣] .

أما القافية ، فالشعر الجيّد عندهم ما اذا سمع صدر البيت منه عرفت قافيته ، فكأن السامع يكون مترقبا لها [٤] .

ان طرق التعبير والأداء في القصيدة الجاهلية والتي اصطلح عليها اسم عمود الشعر بقيت المنظار الذي يميز فيه الرواةُ جيّد الشعر من رديئه . ولما كان الشعر الأموي لا يختلف في طبيعته وموضوعاته عن الشعر الجاهلي لدرجة أن أبا عمرو بن العلاء قد همّ أن يأمر أحد صبيانه بكتابته ، [٥] فان مقاييس عمود الشعر ظلت وافية بالغرض .

أما في العصر العبّاسي حين تبدّل الذوقُ الأدبي ، واتسعت آفاق الشعراء بفضل الثقافات الوافدة ، وتنوعت أساليب العصر ، وجدت طائفة من الشعراء أشاحت عن القديم وتطلعت الى نوع من التميّز والتجديد ، واستطاعت أن تأتي بنوعية أخرى من الشعر قادرة على انتزاع الاعجاب وتلبية أذواق النخبة من الناس ، فهذا أبو نواس يتخصص في موضوع الخمر ، وأبو العتاهية يتخصص في الزهد ، ثم ان بشّاراً وأبا نواس ومسلم بن الوليد ومن تقيّلهم رأوا هذه الأنواع التي وقع عليها اسم البديع وهي : الاستعارة ، والطباق ، والتجنيس ،

---

(١) طبقات فحول الشعراء ، ص ١٢٧ — ١٢٨ .

(٢) الموازنة ، ج ص١٠٩ .

(٣) الوساطة ، ص ٣٣ .

(٤) أنظر : البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ١١٦ ، الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٣٤ ، الموازنة ج ١ ، ص ٢٨١ .

(٥) ابن رشيق ، العمدة ، ج ١ ، ص ٩٠ .

منثورة متفرقة في اشعار المتقدمين فقصدوها واكثروا منها [١] ، ثم أن ابا تمام حاول التجديد في طبيعة الاستعارة والطباق ، « فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض ... » [٢] .

ان مذهب أبي تمام في الاستعارة حيث أصبح وجه الشبه بين المستعار والمستعار له أعزّ مطلبا وأكثر تخييلا قد تفلّت من عمود الشعر ، ولم يستطع الرواة تذوق شعر أبي تمام من خلال منظارهم الضيق . ولم يك بدعا من القول أن يصف ابن الأعرابي شعر أبي تمام بقوله : ان كان هذا شعرا فكلام العرب باطل [٣] .

وقد انقسم الناس بازاء شعر أبي تمام الى فريقين :

١) فريق فضّل أبا تمام وهم أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميل الى التدقيق وفلسفي الكلام .

٢) فريق ظلّ يرى المثل الاعلى في الشعر الجاهلي وهؤلاء هم الرواة وشيوخ اللغة .

ولما جاء البحتري بالشعر السهل دون أن يكدّ خاطره في مخالفة عمود الشعر تعصّب له اللغويون وأنصار الشعر القديم ووضعوه بازاء أبي تمام في المفاضلة . وذهب الآمدي الى ذوق أنصار الشعر القديم في تفضيل طريقة البحتري الشعرية والالتزام بعمود الشعر ، فحرم نفسه تذوّق الكثير من العناصر المتألقة في شعر أبي تمام الذي كان أدقّ تعبيرا عن ذوق القرن الثالث الهجري الحضاري من شعر البحتري الذي تعود اصوله الى التراث . ومثل هذه النظرة الى الشعر على

---

(١) أنظر : الموازنة ، ج ١ ، ص١٨ .
(٢) نفس المصدر والصفحة .
(٣) نفس المصدر ، ص ١٩ .

تراث جماعي تلغي الموهبة الفردية ، وتحول دون المحاولات التجديدية فيه. ان عمود الشعر يجب ان يستخلص من روائـــع الآثار بغضّ النظر عن قلّتها بالقياس الى غيرها [1] ، وكان يجب أن ينظر الى أبي تمام من خلال روائعه لا من خلال عمود الشعر . .

وقد ناقش الشاعر ت. س .اليوت قضية التعصّب للتراث وتعلّق أهل اللغة بالنماذج القديمة قال : « قد يكون الأقدمون عظماء يستحقون التقدير ، ولكن يجب أن ينظر الى انجازاتهم الفنية على أنها مصادر غير قادرة على التطور لاغناء اللغة ، وعلينا أن لا نقف في وجه الأدباء الناشئين واضعين في الأذهان فكرة أن كل ما يمكن ابداعه في اللغة قد أنجز » [2] . ان لغتنا دائمة التّطور ، وطرق معيشتنا تتغير بتأثير التغيرات المادية في شتّى المجالات ، واذا لم يكن عندنا هؤلاء الرجال القلائل الذين يجمعون بين الذوق العالي والقدرة الفائقة على التعبير ، فإن قدرتنا ليس على التعبير وحده ، ولكن حتّى احساسنا بالعواطف الأولية سوف يتلاشى [3] . ويرى اليوت أن كل عصر يتطلب من الشعر أغراضا مختلفة وأن هذه الأغراض تتغير تبعا لنتاج الشعراء المحدثين [4] ، من ذلك فإن الشاعر الناجح – في رأيه – هو من يظل يحفزه الشعور بأنه قد يأتي بجديد لم يأت به أسلافه .

ونحن من جهتنا نرى أن أبا تمام كان أصدق تعبيرا عن مطالب العصر العبّاسي الحضارية ، وأكثر تلبية للذوق العالي عند الأرستقراطية الفكرية التي

(١) أنظر : نظرية المعنى في النقد العربي ، ص ١٠٩ .

(٢) Eliot, T. S. «On Poetry And Poets», P. 57 - 58.

(٣) Ibid, P. 20.

(٤) Eliot, T. S. «The Use of Poetry», P. 141.

تمثلت في أهل المعاني وفلسفي الكلام ، وكان يجب على الآمدي أن ينظر تغير الذوق في العصر العباسي عما قبله ، ويقيم شعر أبي تمام من خلال قدرة الأخير على التعبير عن هذا التغير . ان تأثر الآمدي بقيود عمود الشعر المحكمة الأغلال قد تحيف على كثير من شعر أبي تمام الذي كان ينزع الى التجديد .

ب) قيمة الموازنة كمنهج نقدي :

١) فكرة الموازنة : أول ما يطالعنا من الموازنة بين الشعراء ـ عند العرب في الجاهلية قصة حكومة أم جندب بين علقمة الفحل وزوجها امرىء القيس ، فتذهب الرواية الى أن علقمة الفحل احتكم مع امرىء القيس الى امرأته أم جندب. فقالت : قولا شعراً تصفان فيه الخيل على رويٍّ واحد وقافية واحدة، فقال امرؤ القيس قصيدة مطلعها :

خَلِيلَيَّ مُرَّا بي على أُمِّ جُندبٍ لنقضي حاجاتِ الفُؤادِ المُعذَّبِ

وقال علقمة :

ذهبتَ من الهجران في كلّ مذهبٍ ولم يكُ حقّاً كلُّ هذا التجنبِ

ثم أنشداها جميعا ، فقالت لامرىء القيس : علقمة أشعر منك ، قال : وكيف ذاك ؟ قالت : لأنك قلت :

فللسوطِ ألْهُوبٌ (١) وللساق درّةٌ وللزجر منه وقعُ أخرجَ (٢) مُهذبِ (٣)

فجهدت فرسك بسوطك ، ومريته بساقك . وقال علقمة :

فأدركهنَّ ثانيـاً من عَنانـه يمرُّ كمرِّ الرّائحِ المُتحلّبِ (٤)

---

(١) ألهوب : سير الفرس .
(٢) أخرج : الظليم (ذكر النعام) .
(٣) مهذب : مسرع .
(٤) الرائح المتحلب : سحاب العشي .

فأدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه ، لم يضربه بسوط ، ولا مراه بساق ولا زجره [1] .

وان صحّت الرواية ، يكون الجاهليون قد فطنوا الى فكرة الموازنة بين الشعراء في موضوع واحد على نفس الوزن والقافية ، الا أن ذلك لا يكاد يتفق في شعر شاعرين مكثرين – كأبي تمام والبحتري ، وليس الوزن والقافية في الشعر الا ثوبا خارجيا ، وقد ذهب الآمدي الى ذلك في بدء خطته في الموازنة ، ثم عدل عنها – كما سيأتي – لمّا وجد أن ذلك لا يكاد يتفق مع المعاني التي هي القصد والغرض .

وأيّاً كان الامر فإن أسس المفاضلة بين الشعراء في الجاهلية ، وحتى أوائل القرن الثالث الهجري كانت تقوم على الأحكام الجزئية [2] ، فيفضل الشاعر على غيره لقصيدة قالها ، أو لبيت أبدعه . روى حمّاد الراوية أن علقمة بن عبدة قدم على قريش فانشدهم قصيدته التي يقول فيها :

هل علمت وما استودعت مكتوم ؟

فقالوا : هذه سمط الدهر ، ثم عاد اليهم العام المقبل فأنشدهم :

طَحا بِكَ قَلبٌ في الحسان طَروبُ

فقالوا : هاتان سمطا الدهر [3] .

---

(١) أنظر : الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ١٤٥ ، الموازنة ، ج ١ ، ص ٣٧ ، الاغاني ج ٢١ ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص ٥٤ ، ١١٨ ، العمدة ج ١ ، ص ١٠٣ البيتي العلوي ، مواسم الأدب ، ج١ ، ص ٢٠٩ .

(٢) راجع اختلاف حكم علماء الشعر واللغة على أفخر بيت قاله العرب في كتاب العمدة ج١ ، ص ١٤٥ ، وراجع : أخلب بيت قاله العرب ، وأنصف بيت ، وأقنع بيت في كتاب « ديوان المعاني » للعسكري ، ج ١ ، ص ١٠ – ١٢ .

(٣) الأغاني ، ج ٢١ ، ص ٢٢٥ .

ويروى عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنه قال : أي شعرائكم يقول :

فلستُ بمستبقٍ أخاً لا تلمُّه ... على شعثٍ ، أيّ الرجالِ المهذَّبُ ؟

قالوا : النابغة ، قال : هو أشعرهم [١] . وسئل أبو عمرو بن العلاء عن أمدح الناس ، قال الذي يقول :

لمستُ بكفي كفَّه أبتغي الغنى ... ولم أدرِ أنَّ الجودَ من كفِّه يُعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى ... أفدتُ وأعداني فبذَّرتُ ما عندي

والبيتان لبشار بن برد [٢] .

وكانت أسس المفاضلة بين الشعراء عند ابن سلاّم (ت٢٣٢ ﻫ) في « الطبقات » أول كتاب ألّف في النقد الأدبي عند العرب تقوم على تصرّف القول في الأغراض المختلفة ، وفكرة الكمّ مع الجودة وتغليب الكمّ . يقول عن الأسود بن يعفر : « وله واحدة طويلة رائعة لاحقة بأجود الشعر ، لو كان شفعها بمثلها قدّمناه على مرتبته » [٣] . وفي المفاضلة على أساس تعدد الأغراض وضع كثيّراً في الطبقة الثانية ، وجميلاً في السادسة ، وهو نفسه يقول : « وكان لكثيّر في التشبيب نصيب وافر ، وجميل مقدّم عليه في النسيب وله في فنون الشعر ما ليس لجميل ، وكان جميل صادق الصبابة ، وكان كثيّر يتقوّل ولم يكن عاشقا » [٤] .

---

(١) طبقات فحول الشعراء ، ص ٤٧ ، وانظر : كتاب « حسن التوسل » ص ١٤ .

(٢) المرزباني ، نور القبس ، ص ٢٨ ، وقد نسب الصولي البيتين الى ابن الخياط المدني (أنظر : أخبار البحتري ص ٨١) ؛ ونسبهما الآمدي الى ابن الخياط المكي (أنظر : الموازنة ، الجزء المخطوط ، ص ٧٨ أ) .

(٣) طبقات فحول الشعراء ، ص ١٢٣ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٤٦١ .

وذهب ابن قتيبة (ت٢٧٦ هـ) الى المفاضلة بين الشعراء على أساس الطبع والتكلف في الشعر [١] . فلم يتوصل الى مقياس عام يصدق على الشعر والشعراء وظلّت أحكام أهل العلم على الشعراء متباينة فلم يتفقوا – كما يقول الآمدي – على أي الأربعة أشعر ؟ امرىء القيس والنابغة وزهير والأعشى ؟ ولا في جرير والفرزدق والأخطل ؟ ولا في بشّار ومروان والسيّد ،ولا في أبي نواس وأبي العتاهية ومسلم والعبّاس بن الأحنف ،لاختلاف الناس في الشعر وتباين مذاهبهم فيه [٢].

أما أمر الموازنة بين الشعراء في كلّ ما يتصل بشعرهم من جودة واساءة ، وتبيين مذاهبهم في القول ، فذلك أمر لم يسبق اليه ،وحُقّ للدكتور مندور أن يصف كتاب « الموازنة » بأنه نغمة جديدة في تاريخ النقد العربي [٣] .

وأرى أن لفكرة الموازنة بين الطائيين– عند الآمدي– صلة وطيدة بعمله في مجلس القضاء ، وموازنته بين أقوال الخصوم من المتحاكمين ، فقد كان يحضر به في مجلس حكم قاضي البصرة أبي جعفر بن عبد الواحد الهاشمي [٤] ، ولا شك أن أبا جعفر كان قد رأى من فراسة الآمدي وألمعيته ونفاذه في الأحكام ماجعله يستأنس برأيه في الموازنة بين أقوال الخصوم وترجيح بعضها على بعض . وأيا كان الأمر ،فإن منهج الآمدي في كتاب « الموازنة » لم يقتصر على تحديد خصائص الطائيين وتقييم شعرهما ، بل تجاوزه الى ذلك الغنى الأدبي ، والحشد الثقافي الزاخر الذي يعتبر صورة صادقة لما وصل اليه النقد العربي في القرن الرابع الهجري .

---

(١) الشعر والشعراء ، جـ١ ، ص ٢٣ .

(٢) الموازنة ، جـ١ ، ص ٧ .

(٣) النقد المنهجي عند العرب ص٩٤ .

(٤) معجم الأدباء جـ٨ ،ص ٨٦ ، انباه الرواة جـ١ ، ص٢٨٥ .

٢) خطة الآمدي في الموازنة التفصيلية : كان الآمدي قد صرّح في مقدّمة كتاب « الموازنة » أنه سيقارن بين قصيدة وقصيدة من شعر أبي تمام والبحتري اذا اتفقتا في الوزن والقافية واعراب القافية ، وبين معنى ومعنى ، ثم يقول أيهما أشعر في تلك القصيدة وفي ذلك المعنى تاركا الحكم العام لمن شاء أن يحكم بعد أن يكون قد أحاط علماً بالجيد والرديء (١) ؛ ولكنه وجد أن الصياغة ليست أكثر من ثوب خارجي ، فعدل عنها الى المقارنة بين الشاعرين في المعاني التي هي الجوهر والغرض .

والآمدي يقرّ بتأثير العامل النفسي في الحكم ؛ ولكنه سيعمل جاهدا على ضبطه والحدّ منه يقول : « ... وبالله أستعين على مجاهدة النفس ، ومخالفة الهوى وترك التحامل ، فإن جلّ اسمه حسبي ونعم الوكيل » (٢) ، وهو بذلك يتفق مع مايكاد يكون من البديهيات في علم النقد الحديث . يقول الاستاذ الفرنسي لانسون (ت١٩٣٤ م) في صدد كلامه عن المنهج العلمي في النقد الأدبي : « اذا كانت قواعد المنهج العلمي هي اخضاع نفوسنا لموضوع دراستنا لكي ننظم وسائل المعرفة وفقاً لطبيعة الشيء الذي نريد معرفته، فاننا نكون أكثر تمشياً مع الروح العلمية باقرارنا بوجود التأثرية في دراستنا ، وتنظيم الدور الذي تلعبه فيها . وذلك لأنه لما كان انكار الحقيقة لا يمحوها فإن هذا العنصر الشخصي الذي نحاول تنحيته سيتسلّل في خبث الى أعمالنا ، ويعمل غير خاضع لقاعدة . وما دامت التأثرية هي المنهج الوحيد الذي يمكننا من الاحساس بقوة المؤلفات وجمالها ، فلنستخدمه في ذلك صراحة ، ولكن لنقصره على ذلك في عزم ، ولنعرف مع احتفاظنا به كيف نميّزه ونقدّره ونراجعه ونحدده ، وهي هذي الشروط الأربعة لاستخدامه . ومرجع الكلّ هو عـــدم الخلط بين المعرفة

---

(١) أنظر : الموازنة ، جـ ١ ، ص ٧ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٠٥ .

والاحساس، واصطناع الحذر حتى يصبح الاحساس وسيلة مشروعة للمعرفة»[1]. من ذلك نرى أن الآمدي قد سبق الى تفهم الأسس التي تتفق الآن وقواعد الروح العلمية في النقد الحديث بشكل يستحق التقدير .

ويريد الآمدي ان يوازن بين معنى ومعنى ، ويفضل أحد الشاعرين على الآخر في ذلك المعنى بعينه ، وسيعزز ذلك بالعلل والاسباب ليعطيه صفة التسويغ ، ولا يبقى الا ما لا يمكن اخراجه الى البيان ، ولا اظهاره الى الاحتجاج ولكن من أهل حق العلم —وهم أحذق من غيرهم في صناعتهم — أن يسلّم لهم بالأحكام . وليس في هذه الروح النقدية ما ينم عن تحيّز أو تحامل ، بل ان لاقتصاده في الحكم وتحرّجه من التفضيل — وخاصة فيما تدركه المعرفة ولا تحيط به الصفة — أصدق مثال على حبه للعدل وتحرّيه للانصاف . فهل كان تطبيقه العملي في الموازنة التفصيلية مصداقا لقوله في بيان خطته ؟ هذا ما سنحاول الكشف عنه ومناقشته وتعليله في تتبعه للمعاني المختلفة والحكم عليها .

٣) أبواب الموازنة التفصيلية بين الشاعرين :

يلاحظ أن الآمدي يقارن بين الشاعرين في الموضوعات المختلفة حسب مواقعها من ترتيب القصيدة العربية . [2] فهو يبدأ بذكر الموضوعات التي جاءت في مطالع القصائد ، فالموضوعات التي وقعت في وسط كلامهما ، وبعد ذلك ما جاء في شعريهما من الخروج الى الغرض المطلوب أو ما يسمى بحسن التخلص ثم المعاني التي قيلت من أجلها القصائد .

ما جاء من الموضوعات في ابتداءات قصائدهما :

١ — الوقوف على الديار : يقارن الآمدي مذهب أبي تمام بمذهب البحتري في الوقوف على الديار ، ويقارن ذلك بطريقة العرب ويشرح مقاصد الأوائل

(١) كما ورد في — النقد المنهجي عند العرب ، ص ٤٠٦ .

(٢) أنظر ترتيب القصيدة العربية عند ابن رشيق ، العمدة ، ج ١ ، ص ٢١٣

في الوقوف عليها مردفا ذلك بالعلل والأسباب ، ثم يعقّب على ذلك بقوله : «وهذه طريقة القوم في الوقوف على الديار ، ولهم فيها من الأشعار ما هو أشهر وأكثر من أن أحتاج الى ذكره ، وتلك سبيل سائر المحدثين ، وطريقة الطائيين : ما عدلا عنها ، ولا خرجا الى غيرها .[1] » وهو في هذا الباب يجعلهما متكافئين [2] .

٢ ــ التسليم على الديار : أورد أبياتاً قليلة للطائيين ثم قال : « فهذا ما وجدته من تسليمهما على الديار ، وأبو تمام عندي في قوله :

دِمَنٌ أَلَمَّ بِهــا فقالَ سلامُ ... كم حلَّ عُقــدةَ صبرِهِ الإلمامُ

أشعر من البحتري في سائر أبياته ، وما سمعت من التسليم على الديار أحسن من قول أبي نواس :

وإذا مَررتُ على الدِّيارِ مُسلِّماً ... فلغيرِ دارِ أُميمةَ الهِجرانُ » [3]

فالآمدي ينصّ على الجيد ويستحسنه وعلى الرديء فيسترذله ، ولا يقف عند ذلك ، بل يقارن الجيد من شعرهما بالجيد من أشعار السابقين ويفرق بين طرقهم المختلفة في التعبير .

٣ ــ تعفية الدهور والأزمان للديار : أورد بيتين لأبي تمام ثم أورد بيت البحتري :

أَرسومُ دارٍ أَم سطورُ كتابِ ... دَرَسَت بشاشتها على الأحقابِ

وفيه يقول الآمدي : « وهو من الابتداءات النادرة العجيبة المشبهة لكلام

---

(١) الموازنة ، ج١ ، ص٤١١ .
(٢) نفس المصدر : ص ٤١٦ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٤٢٠ .

الأوائل فهو فيه أشعر من أبي تمام »[1] . وهنا يلاحظ تمسك الآمدي بعمود الشعر ومقاييسه .

٤ ـ اقواء الديار وتعفّيها : والآمدي يحجم في هذا الباب عن المفاضلة وان كان أميل الى ترجيح أبيات البحتري التي يقول فيها : « هذه كلها ابتداءات جيدة ، بارعة اللفظ ، صحيحة المعنى ؛ وأبيات أبي تمام أيضا رائعة ولكن فيها ما ذكرته »[2] يعني بذلك أغاليطه .

من ذلك يظهر تحرج الآمدي في المفاضلة بين الاعتبارات المتقاربة واقتصاده في الحكم .

٥ ـ تعفية الرياح للديار مما جاء في شعرهما من الابتداءات : قال أبو تمام :

عفت أَربُعِ الحلات للأَربعِ اُلمُلْـدِ
لكل هَضيم الكشح مُغربة القَـدِّ

يقول الآمدي : « ولا أعرف لأبي تمام ابتداء ذكر فيه الرياح غير هذا البيت وهو ردىء اللفظ ، قبيح النسج »[3].

وفي بيت البحتري :

أَصبا الأَصائلِ إنَّ بُرقةَ مُنشدٍ تشكو اختلافَك بالهبوب السَّرمَدِ

يقول : « ما زلت اسمع الشيوخ من أهل العلم بالشعر يقولون : انهم ما سمعوا لمتقدم ولا متأخر في هذا المعنى أحسن من هذا البيت ، ولا أبرع لفظا ، ولا

(١) الموازنة ، ج ١ ، ص ٤٢١
(٢) نفس المصدر ، ص ٤٢٣ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٤٢٤ .

أكثر ماء ، ولا رونقا ، ولا ألطف معنى » [١] .

ولا يخفى تفوق البحتري ، ونزاهة الآمدي في الحكم .

٦ ـ البكاء على الديار : ويجعل البحتريّ في هذا الباب أشعرَ من صاحبه ، لتصرفه في البكاء على معان مختلفة عجيبة كلها جيّد نادر ... كما يقول ـ ولزوم أبي تمام طريقة واحدة لم يتجاوزها [٢] . ويكون الآمدي قد اتخذ من التصرف بالمعاني مقياسا لتحديد المفاضلة .

٧ ـ سؤال الديار واستعجامها عن الجواب : وهو ينعتهما في ذلك بالتقصير عن القدماء ويجعلهما متكافئين [٣] .

ما جاء من الموضوعات في وسط كلامهما

١ ـ أوصاف الديار والبكاء عليها : وهو يستحسن أبياتهما جميعا دون أن يصرّح بالتفضيل [٤] .

٢ ـ أطلال الديار وآثارها : وفيه أورد بيت أبي تمام .

ونؤْيٌ كما نقصَ الهلالَ محاقُه ... أَو مثْلُ ما فصمَ السوارَ المعصمُ

وفيه يقول : « وهذا العجز ما لحسنه نهاية » [٥] ولست أعرف للبحتري في مثل هذا الا ما يشتبه فيه [٦].

٣ ـ محو الرياح للديار : وفيه يأتي بأبيات للطائيين في ذلك ثم يقول :

---

(١) الموزانة ، ج ١ ، ص ٤٢٥

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٢٨ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٣٣ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٤٦٣ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٤٥٩ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٤٦٠ .

« ولا أعرف لأبي تمام معنى جيّدا في ذكر الرياح الا قوله :

يا منزلاً أعطى الحوادثَ حُكمَهَا ⁂ لا مطلَ في عدَّة ولا تسويفا
أَرْسى بنادِيكَ الندى وتنَفَّسَتْ ⁂ نَفَساً بعقوتك [1] الرياحُ ضعيفا

وما زلت أسمع أهل العلم بالشعر يستحسنون بيت أبي تمام هذا ، وهو لعمري حسن [2]. وألمح الآمدي الى طريقي الطائيين في ذلك ، وأنهما ، انما يذكران ريحين مختلفين تنسف الواحدة عن الأرض التراب ، والأخرى ترده اليها ، ويعقب على ذلك قائلا : « فلعلّ الطائيين فيما شرطاه انما أشفقا من أحد فعلي الريح ، وهو طموسها للرسم »[3]. وأورد قول البحتري :

أصبا الأَصائل إنَّ بُرقة مُنشدٍ ⁂ تشكو اختلافَكَ بالهُبوب السرمدِ
لا تُتعبي عرصاتِها إنَّ الهوى ⁂ مُلقىً على تلك الرسومِ الهُمَّدِ
دِمَنٌ مواثلُ كالنجومِ فإن عفَتْ ⁂ فبأيِّ نَجْمٍ في الصبابةِ تهتدي

يقول الآمدي : « وقد قرأت شعرا كثير ، في وصف الرياح وتعفّيها للدار لشعراء الجاهلية والاسلام ، فما سمعت بأحسن من هذا ، ولا أعرف ولا أبدع » [4].

ويتبين من ذلك منهج الآمدي في النقد والمفاضلة ، واعترافه بالجيّد واستحسانه له ، وذمّه للرديء واسقاطه له ، فهو قد فضّل أبا تمام في قوله :

---

(١) عقوة الدار : ساحتها ، وأرسى : أقام ، والمعنى نقلا عن كتاب الموازنة ، ج ١ ، ص ١٠٥ ، هو يدعو للمنزل بالخصب وتنسيم الرياح ، لأن النسيم ينفع ولا يضر .
(٢) الموازنة ، ج ١ ، ص ٤٦٧ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٤٦٩ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٤٧٠ .

« أو مثل ما فصم السوار المعصم » ، وفضّله في اضافة صفة التنفس الضعيف للرياح في ديار الحبيب ، واستحسن قول البحتري حيث يستحق ذلك ، معللا ومقارنا بمذاهب العرب في القول ، وأشعارهم الجياد في هذه المعاني بحيث تتضح صورة الحكم بأدق جزئياتها وتفاصيلها .

٤ ــ سؤال الديار واستعجامها عن الجواب : قال أبو تمام :

مِنْ سَجَايا الطُّلولِ أَلاَّ تُجِيبا ... فَصَوابٌ من مُقلَةٍ أَن تَصُوبَــا
فاسأَلَنْها واجعل بُكاكَ جواباً ... تَجِدِ الشوقَ سائلا ومجيبــا

يقول الآمدي شارحا ومعلقا : « أي أنك انما وقفت على الدار وسألتها لشدّة شوقك الى من كان بها ، ثم بكيت شوقا أيضا اليهم ، فكان الشوق سببا للسؤال ، وسببا للبكاء . وهذه فلسفة حسنة ومذهب من مذاهب أبي تمام ، ليس عــلى مذاهب الشعراء ولا عن طريقتهم »[١] .

فالآمدي يقارن مذهب أبي تمام بمذاهب العرب في القول ، وهو يأتي بشعر البحتري كمثال على مذاهب العرب يقول : « ولم يسلك البحتري هذه الطريق بل جرى في هذا الباب على مذاهب الناس فقال :

وقفنا على ذات النخيلةِ وانبرَتْ ... سوا كبُ قد كانت بها العين تَبخَلُ
على دارسِ الآياتِ عافٍ تعاقَبَت ... عليه صَباً ما تستفيقُ وشمألُ
فلم يدرِ رسمُ الدار كيف يُجيبنا ... ولا نَحْنُ مِن فَرْطِ ٱلْبُكا كيف نَسأَلُ

وقول أبي تمام وان كان فيه دِقّة وصنعة ، فهذا عندي أولى بالجودة ، وأحلى في النفس ، وألوط بالقلب ، وأشبه بمذاهب الشعراء »[٢] . وواضح أن

---

(١) الموازنة : جـ ١ ، ص ٤٧١ .
(٢) نفس المصدر : ص ٤٧٢ .

الآمدي ينظر الى شعر أبي تمام من خلال نظرته الى عمود الشعر والى الأنماط الشعرية المعروفة .

ويورد الآمدي بعد ذلك من الباب نفسه قول أبي تمام :

قَدْ مَرَرْنا بالدارِ وهي خَلاءٌ فبَكَيْنا طُلُولهَا والرُّسوما
وسأَلْنا رُبُوعهَا فانصرفنا بشفاءٍ وما سأَلْنا حكيما

وينعته بقوله : وهذا معنى حسن حلو ، ومذهب صحيح تقدّم الناس فيه ، وقال البحتري في مثله أو قريب منه :

يا دارُ لا زالتْ رُباكِ مجودَةً من كلِّ غاديةٍ تَعَلُّ وتَنْهَلُ
فَهِمتِنَا دُوَلَ الزمانِ وصرفه وأَرَيتِنَا كيفَ الخُطُوبُ ٱلنُّزَّلُ

ومعنى أبي تمام جاء به في حكمة واحدة ، وأتى بزيادة في غاية الحلاوة والصحة وهي قوله « وما سألنا حكيماً » فأبو تمام في هذا عندي أشعر من البحتري »[١].

مما تقدّم نرى أن الآمدي يرى جمال الشعر من خلال الأنماط القديمة ، فهو يستحسن قول أبي تمام وينعته بقوله « مذهب صحيح » ، ونحن نرى أن الآمدي كان يحسن تذوق شعر أبي تمام مما يقع ضمن عمود الشعر والأنماط المألوفة ، وما خرج عن ذلك من شعر أبي تمام فبينه وبين ذوق الآمدي حجاب .

٥ ـ وصف الديار وساكنيها : يأتي بأبيات الطائيين في ذلك ، ثم يأخذ بمناقشة مذهبيهما في الشعر يقول : « وأقول في الموازنة بينهما ان أهل الصنعة يفضّلون كل ما قاله أبو تمام على أكثر ما قاله البحتري في هذا الباب ، ويقولون :

---

(١) الموازنة ، جـ ١ ، ص ٤٧٢ .

ان أبا تمام استقصى الوصف في نعوت النساء وأحسن وأجاد ، وقد كان ذلك لعمري ، مع ما فيه من الاساءات والالفاظ الرديئة ... والمطبوعون وأهل البلاغة لا يكون الفضل عندهم من جهة استقصاء المعاني والاغراق في الوصف ، وانما يكون الفضل عندهم في الالمام بالمعاني وأخذ العفو منها كما كانت الأوائل تفعل مع جودة السبك وقرب المأتى » (١) .

ومن ذلك نرى ان الآمدي يشيح بوجهه عن محاولات أبي تمام في الخروج على النماذج الشعرية المألوفة ؛ وهو مع اعراضه عن محاولات أبي تمام التجديدية لم يحرم الانصاف أحيانا ،ونحن نرى أن لو سمح الآمدي لنفسه أن يتذوق شعر أبي تمام دونما نظرة مسبقة دفعته الى الغض منه لربما استطاع أن يحسن تقدير شعر أبي تمام بل لربما أعاد خطته في الموازنة على مقاييس جديدة .

٦ــ ما يخلف الظاعنين في الديار من الوحش وغيرها (٢) : وفي هذا الباب يغضّ من شعرهما معا ؛ويحجم عن المفاضلة بينهما .

٧ ــ ماقيل في ائتلاف المحبين : وفي هذا الباب يحكم بتفوق البحتري على أبي تمام ، لأنه ليس لأبي تمام فيه شيء كما يقول (٣) ؛

وبذلك نجد الآمدي تحكم بتفوق البحتري لتفرده بالقول في هذا الباب .

٨ ــ باب طروق الخيال : هذا باب فضّل الآمديّ البحتريّ فيه على أبي تمام (٤) . وقد ذهب بعض أنصار أبي تمام ــ كالشريف المرتضى ــ الى هذا الرأي ، ونوّه بأصالة البحتري في هذا الباب قال : « ولأبي تمام في هذا المعنى التافه اليسير ، فإنه ما عني به ؛ ولا رزق منه ما رزق البحتري ، فإنه كان

---

(١) الموازنة ، ج١ ، ص ٤٩٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٥٠٥ .

(٣) الموازنة ، ج ٢ ، ص ١٤١ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٦٧ .

مغرما متيّما بالقول في الطيف ، فأكثر فيه وأغزر مع تجويد واحسان وافتنان ، وتصرّف فيه تصرّف المالكين ، وتمكّن منه تمكّن القادرين »[1] .

الخروج الى المدح

يقدّم الآمدي لهذا الباب بشرح لمذهبي الشاعرين في الخروج من النسيب الى المدح ، ثم يورد الأوجه التي اعتمدها الشاعران كأسباب لوصل النسيب بالمدح وهي :

١ ـ الخروج بذكر أوصاف الإبل والمهامه ، وذلك كقول أبي تمام:

يُصَبِّرُني إن ضقتُ ذَرعاً بحبِّه ويجزعُ إن ضاقت عليه خلاخِلُه

ثم خروجه الى مدح المعتصم بقوله

إليكَ أميرَ المؤمنين وقد أتى عليهـــا الملا أدماثُه وجراوِلُه[2]

ومن ذلك قول البحتري :

فالعِيسُ ترمي بأيديها على عَجَلٍ في مَهْمَهٍ مثلِ ظهر التُّرْسِ رَحْرَاح
تهدي إلى الفتح والنُّعمى بذاك له مدحاً يُقَصِّرُ عنه كـلُّ مدَّاحِ[3]

٢ ـ الخروج بوصف الخيل : من ذلك قول أبي تمام :

حَذَوناها الوَجَى والأَيْنَ حتّى تجاوزتِ الركوعَ إلى السجُودِ

(١) طيف الخيال ، ص ٤ ، ص ٥

(٢) الموازنة ج ٢ ،ص ٢٩٥ ــ ٢٩٦ ، ، ومعاني المفردات نقلا عن كتاب الموازنة هي الملا : المتسع من الأرض الأدماث : جمع دمث وهي الأرض اللينة ، والجراول : جمع جرول وهي الأرض الخشنة ذات الحجارة .

(٣) الموازنة ، ج ٢، ص ٢٩٩ .

أهانَكِ للطِّرادِ ولم تهوني عليه ، وللقياد ـ أبو سعيد[1]

٣ ـ الخروج بوصف السفينة : من ذلك قول البحتري :

وَرَمَتْ بنا سَمْتَ ٱلْعِرَاقِ أَيانقٌ سُحْمُ ٱلْخُدودِ لُغَامُهُنَّ ٱلطُّحْلُبُ
ركبوا الْفُرَاتَ إلى الْفُرَاتِ وأَمَّلوا نشوانَ يُبْدِعُ في ٱلسَّماح ويغرِب[2]

ولم يذكر الآمدي أبيات أبي تمام في « السفينة » لرداءتها[3] .

وفي طرق الخروج السابقة يقول الآمدي : « ولا خفاء بفضل البحتري في سائر ما أوردته على أبي تمام »[4] . ونحن نوافق رأي الآمدي في ذلك لتفوق البحتري الظاهر .

٤ ـ الخروج الى المديح بمخاطبة النساء : كقول أبي تمام :

لاتُنْكِري عَطَلَ الكريم من ٱلْغِنى فالسَّيل حَرْبٌ للمكان ٱلعــالي
وتنظَّري خَبَبَ ٱلرِّكاب يَحُثُّها مُحيي القريضِ إلى مُميت المــالِ

وقول البحتري :

ولم أنْسَها عِنْدَ ٱلْودَاعِ ونثرها سَوابقَ دَمْعٍ أُعْجِلَتْ أنْ تُنْظَما

---

(١) الموازنة ج ٢ نفس المصدر ، ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، حذونها : جعلت الوجى لها مثل الأحذية ، وأبو سعيد : محمد بن يوسف الطائي (نقلا عن الموازنة) .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٠٧ ، ومعاني المفردات نقلا عن الموازنة هي : أيانق : جمع أينق ، وهو جمع ناقة ، سحم الخدود ، يريد سواد القار ، لغامهن الطحلب : يريد الخضرة التي تعلق بالسفن من طول المكث في الماء .

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٠٩ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣١٠ .

وقالت هل ٱلْفَتْحُ بن خاقانَ مُعْقِبٌ
رضاً فيعود الشملُ منّا مُلأَما [1]

وإخاله يجعلهما في هذا الباب متكافئين [2] .

٥ ـ الخروج الى المدح بيمين يحلفان بها : من ذلك قول أبي تمام :

حلفتُ بربِّ البيضِ تَدْمَى نحورُها
وربِّ الْقَنَا الْمنآد والْمُتَقَصّدِ
لقد كفَّ سيفُ الصامتي محمد
تباريح ثأرِ الصامتي محمد [3]

وقول البحتري :

حلَفْتُ بما حَجّتْ قُرَيشٌ وحجّبتْ
وحازَ الْمصلّى والحطيمُ وزمزمُ
لقد جشِمَ الفتحُ بن خاقانَ خِطّةً
من المجدِ لا يسْطِيعُها الْمُتَجَشّمُ [4]

ويجعلهما في هذا الباب متكافئين [5] . ولا خفاء بعدل الآمدي في الحكم .

٦ ـ الخروج الى المديح بذكر الغيث : كقول أبي تمام :

---

(١) الموازنة ، ج ٢ ، ص ٣١١ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٣١٢ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٣١٣ ، المنآد المنحني ؛ المتقصد : المتكسر .
(٤) نفس المصدر ، ص ٣١٣ - ٣١٤ .
(٥) نفس المصدر ص ٣١٤ .

أَيها الغيثُ حَيِّ أهلاً بمغدا   كَ، وعند السُّرى وحينَ يَئُوبُ
لأَبي جعفرٍ خلائقُ تحكيـ   هِنَّ قد يُشْبِهُ النَّجيبَ النجيبُ

وقول البحتري :

أقولُ لثَجَّاجِ الغَمامِ وقد سرى   بمحتَفَلِ الشُؤْبوبِ صابَ فعمَّما
أَقِلَّ وأَكثِرْ لستَ تبلغ غايةً   تبينُ بها حتي تُضارِعَ هيثما[1]

وهو في هذا الباب يفضّل البحتري على صاحبه[2]، وهو حكم — في رأينا — مصيب .

٧ — الخروج الى المديح بوصف « الرياح »[3] وتشبيه أخلاق الممدوح بها ، كقول أبي تمام :

خُلُقٌ أطلَّ من الربيع كأَنَّهُ   خُلُقُ الإمام وهديه المتيسِّرُ

وقول البحتري :

صاغَ منها الربيعُ شكلا لِأَخلا   قِ حسين ذي الجود والإحسان[4]

والآمدي يمقت المذهبين ولكنه يفضل البحتري لكثرة أخطاء أبي تمام في هذا الباب[5] .

---

(١) الموازنة ج ٢ ، ص ٣١٥ — (والهيثم هو الهيثم الغنوي) .
(٢) نفس المصدر : ص ٣١٨ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٣١٩ ، ونعتقد أن الأصح هو « الرياض » بدلا من لفظة « الرياح »
(٤) نفس المصدر ، ص ٣١٩ ، (والهدي : السمت والشكل) .
(٥) نفس المصدر ، ص ٣٢٨ .

المـــدح

١ ـ أمر الخلافة وما يتصرف عليه القول من معانيها :

يناقش الآمدي ـ في هذا الباب ـ مذهبي الشاعرين في مدح الخلفاء ، ويستحسن قول أبي تمام في الواثق :

جعلَ الخلافةَ فيه ربٌّ قولُهُ ... سبحانه ـ للشيء كُنْ فيكونُ
ولقد رأيناها له بقلوبنـــا ... وظهور خَطْبٍ دونـــه وبطونُ
ولذاك قيل : من الظنون جليَّةٌ ... صِدْقٌ وفي بعض القلوب عيونُ

قال الآمدي : « فهذه كهانة عجيبة من أبي تمام في الواثق لم يفطن لها غيره »(١).

وأورد أبياتا كثيرة تصرّف فيها البحتري في مدح الخلفاء أحسن تصرّف ، وأربى فيها على كثير من معاني أبي تمام في هذا الباب ، الا أن الآمدي استجاد قول أبي تمام في المأمون :

في دولة لحَظ الزمـــانُ شعاعَها ... فارتدَّ منقلبـــاً بعينَيْ أَرْمَـــدِ
مَنْ كانَ مَولِدُهُ تقدَّمَ قبلهـــا ... أَو بعدهـــا فكأنَّه لم يُولَـــدِ

وهذا ـ كما يقول الآمدي ـ أجود ما يقال في مدح دولة وأبلغه ، فأبو تمام عنده في هذا الباب أشعر من البحتري (٢) .

ولا بد لنا أن نقف هنا قليلا لنناقش ونتبين مبدأ الآمدي في التفضيل ، انه يفضّل بيتين لأبي تمام على كل ما قاله البحتري ، رغم أن أشعار البحتري في هذا الباب هي من غرر أبياته . معنى ذلك أن الآمدي ينظر الى الجودة في الشعر

---

(١) الموازنة ج ٢ ، ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٤١ ـ ٣٤٢ .

من خلال الروائع ــ وان قلّت ، ولكنّ عيب الآمدي أنه لا يستطيع رؤية الروائع في شعر أبي تمام الا من خلال مقاييس عمود الشعر ، فما وافق عمود الشعر أبصر الآمدي روعته وما لم يوافق خرج عنده الى الاحالة والتعقيد والاستكراه ، ولو أن الآمدي أعاد النظر في أغلال عمود الشعر على ضوء من روائع أبي تمام ، لكان للموازنة عنده شأن آخر .

ابتداءات المراثي : وهو في هذا الباب يوازن بين الطائيين في اتفاق شعريهما في المعاني المختلفة ، ثم جملة الابيات . فبعد أن أورد أبيات الشاعرين في هذا الباب قال : « فإن ابتداءات البحتري أجود من ابتداءات أبي تمام لما في ابتداءات أبي تمام من التخليط ... وسلامة ابتداءات البحتري من مثل ذلك . فأما الموازنة بين معاني الأبيات فليس في معانيهما اتفاق الا في صدر البيتين الأولين ... فأجعلهما في هذه المعاني خاصة متكافئين ، وجملة أبيات البحتري أفضل الجملتين » (١) .

ويتضح من ذلك أن الآمدي يوازن بين الشاعرين في دقائق المعاني ولكنه وجد أن هذه المعاني تلتقي في مواضع وتفترق في أخرى ، فحتى تصح الموازنة يحكم على المعاني التي تتفق ، ثم يحكم على جملة الأبيات لكل من الشاعرين ، وقد وجد صعوبة في الموازنة بينهما في قصائد الرثاء وفي قصائد المدح لأن القصيدة الواحدة تتضمن من المعاني ما ليس في القصيدة الأخرى . فنراه يقول : « لو اعتمدنا أن نعرف أيهما أشعر في جملة مراثيه حتى نثبت قصائدهما بأسرها في هذا الباب لم يخلص لأبي تمام الا قصيدتان وهما :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمرُ

وقوله :

مازالت الأيام تخبّر سائلا

(١) الموازنة ، الجزء المخطوط ، ص ١٠٦ أ

ومقطوعتان تقومان مقام قصيدة وهما :

أصمّ بك الناعي وإن كان أسمعا

وقوله :

أي القلوب عليكم ليس ينصدعُ

فإنه برّز في هذه القصائد وأحسن وأجاد لفظا ومعنى وسبكا حتى كأنها من بحر غير بحره ، ومن معدن سوى معدنه ، وكان يظهر تقصيره في باب قصائده وهي أربع عشرة قصيدة لأن الجيد فيها انما هو لمع قليلة بين الرديء الساقط . ورديّه اما في معناه أو لفظه أو نسجه أو تأليفه ...فكان كثرة رديه يشين قليل جيّده ويزري به ، وكان يظهر فضل البحتري في قصائده وهي ثلاث عشرة قصيدة لأن كلها جيّد لا يكاد يختل من القصيدة شيء البتة ...فكنا لو فعلنا ذلك نحكم بفضل جملة قصائد البحتري على جملة قصائد أبي تمام ، ولو اطّرحنا رديء أبي تمام كلّه من جميع قصائده ، وتلقّطنا جيّده منها ،وأضفناه الى القصائد الأربع اللواتي قدّمت ذكرها ، ووازنا بالجميع قصائد البحتري حتى نكون قد وازنا جيدا بجيّد كما يختار أصحاب أبي تمام ، لأنهم أبدا يقولون : فدعوا رديّه وخذوا جيّده ، كان في ذلك ظلم للبحتري قبيح ، وتعدّ ظاهر معلوم لأن المتخيّر المتنقّى الذي قد نفي رديّه وبقيت عيونه وفاخره لا يقاس جملة على جهته لأن النقاوة لها أبدا فضلها ، ولكن الموازنة تكون بين جملة وجملة ، واختيار واختيار » [1] .

مما تقدّم نرى أن الآمدي يحرص على أن يعدل بين الشاعرين في التفاصيل والجزئيات ، ويرى أن الحكم لا يكون عادلا الا اذا كان بين الشاعرين على نفس المقاييس ، وقد لاحظ أن أصحاب أبي تمام يفضّلونه على أساس الجيد

(١) الموازنة ، الجزء المخطوط ، ص ١٧ أ ، ١٧ ب .

المنتقى من شعره ، وأن البحتري لا يكاد يكون في شعره مختارا لقلة التفاوت فيه فلا سبيل للموازنة بينهما الا بالحكم على جملة شعرهما في موضوع معين. وهنا تبرز العقبات أمام الآمدي في موازنته بين الشاعرين على أساس من اتفاق المعاني واختلافها ، فهو لا يجد مندوحة عن اللجوء الى الموازنة بين الشاعرين على أساس النظرة الكلية في جملة أشعارهما في موضوع معين . ونحن نرى أنه كان على الآمدي أن ينظر في جملة أشعار الطائيين في الموضوعات جميعها ليسلم في موازنته من التناقض ، ويخلص من صعوبة التوفيق بين الأشعار المختلفة .

والآمدي يفضّل شعر البحتري لاستوائه على شعر أبي تمام ، ويأخذ برأي شيوخه من أهل العلم والشعر في تحديد الشعر المطبوع وتمييزه عن غيره مما حرم هذه الصفة يقول : « والمطبوع الذي هو مستوي الشعر ، قليل السقط ، لا يبين جيّده من سائر شعره بينونة شديدة ، ومن أجل ذلك صار جيّد أبي تمام معلوما وعدده محصورا » [1] . ويعلل الآمدي هذا التعريف بقوله : « وهذا عندي — هو الصحيح لأني نظرت في شعر أبي تمام والبحتري في سنة سبع عشرة وثلثمائة ، واخترت جيدهما ، وتلقطت محاسنهما ، ثم تصفحت شعرهما بعد ذلك على مرّ الأوقات ، فما من مرّة الا وانا ألحق في اختيار شعر البحتري ما لم أكن اخترته من قبل ، وما علمت أني زدت في اختيار شعر أبي تمام ثلاثين بيتا على ما كنت اخترته قديماً » [2] . بل يذهب الآمدي الى أكثر من ذلك حين يفضل شعر مسلم بن الوليد لاستوائه على شعر أبي تمام [3] .

وهنا نجد مقياس الآمدي في الموازنة يضيق عن قبول مبدأ أبي تمام واتجاهه

---

(١) الموازنة ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) نفس المصدر ، ص ٦ .

في قول الشعر . فأبو تمام كان يقول من الشعر ما يشتهي[1].وكان يسأل عن البيت الجيد والبيت الرديء فيقول انها بعض نفسه ، وفي مرتبة الأبناء يتساوون في المحبّة ، فلم يكن لاستواء الشعر عنده من عيب أو نقص . وقد نفى الأستاذ ريتشاردز I.A. Richards أن يكون استواء الشعر دليلا على الجودة ، ومثّل على ذلك بروايات شكسبير التي تتفاوت تفاوتا كبيرا دون أن ينقص ذلك منها . وهو يرى أن رواية شكسبير « الملك لير King Lear تستوى على مرتبة عالية من الجودة والاستحسان رغم أنها صعبة الفهم ، ومغايرة في مستواها لروايات شكسبير الأخرى [2] . ويذهب الشاعر ت. س . اليوت الى أنه في أنجح القصائد المطوّلة قد ترتبط أبيات جزلة بأبيات أقل جزالة دون أن ينقص ذلك منها بل يمكن اعتبار ذلك ضربا من الجمال [3] .

وقد كان البحتري نفسه يقرّ بسابقة أبي تمام وتقدّمه ، ويعترف أن جيّد شعر أبي تمام خير من جيّده [4] . واذا كان الأمر كذلك فقد استوى أبو تمام على مرتبة السبق والتفوق اذ لا مفاضلة في الرديء وان كان رديء شعر البحتري خيرا من رديء أبي تمام .

ثم انه غير منكر — كما يقول أصحاب أبي تمام — لفكر نتج من المحاسن ما نتج وولدّ من البدائع مثل ما ولدّ أن يلحقه الكلال في الأوقات والزلل في الأحيان [5] . وكان أولى بالآمدي لو فاضل بين الشاعرين على أساس هذه اللمع الشعرية المتفرقة في شعر أبي تمام والتي تلحقه بمصاف العباقرة والمبدعين وأهل الرؤى الكاشفة التي تدقّ على غيره ممن هم في المتوسط أو دونه .

---

(١) شرح الحماسة ، المقدمة ، ص ١٣ .

(٢) Richards, I. A. «Principles of Literary Criticism», P.212.

(٣) Eliot, T. S. «The Use of Poetry . . » , P. 92.

(٤) الموازنة ، ج ١ ، ص ١٢ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٣٥ .

ذكر الخيل والسلام وقبحهما بعد الميت ، وباب من يخلف الميت : لم يرد فيهما شيء يستحق الذكر سوى ذكر شعر مسلم بن الوليد وليلى الأخيلية [١].

مذهب الشاعرين في الهجاء : ويعرض الآمدي لمذهبي الشاعرين في موضوع الهجاء فيرى أن البحتري اذا هجا قصّر ، وأن أبا تمام في هجائه أشد تقصيرا [٢] .

وصف الخمر والندمان : يرى الآمدي أن الطائيين يقصّران في هذا الباب الذي حاز قصب السبق فيه أبو نواس قال : « وما قال أول ولا آخر في وصف الخمر والندمان كقول أبي نواس ، فإنه أبرّ فيه على من قبله ، ولم يطمع في اللحاق به من بعده » [٣] . ويلاحظ هنا افتراق الآمدي عن أئمة اللغة الذين ينحازون الى القديم ويفضلونه ، فالآمدي يقرّ لأبي نواس بالسبق رغم تأخره في الزمن بالنسبة لسابقيه .

باب اعتداد المدّاح بنعم الممدوحين : وهو باب يجمع — كما يرى الآمدي — بين عين شعر أبي تمام في الجودة ، وعين شعره في السخف . ففي قول أبي تمام :

أَطالَ يدي على الأيام حتى   جزيتُ صروفها صاعاً بصاعِ

يقول : « وهذا عين هذا الباب كلّه » [٤] . ويرى قوله :

قرَّب الدهرُ من يدي وأَكنَّت   يدُه من سمايم العُدمِ حالي

(١) الموازنة ، الجزء المخطوط : ص ١٧ أ ، ١٧ ب ، ٢٧ ب .
(٢) نفس المصدر : ص ٣٧ أ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٥٢ أ ٥٢ ب .
(٤) نفس المصدر : ص ٨٦ ب .

عن هذا الباب كله في الرداءة والسخف [1] .

باب وصف الحيل : وهو في هذا الباب يعتبر البحتري أشعر من أبي تمام وغيره من شعراء أهل زمانه [2] . وهو في ذلك يوافق شيوخه من أهل العلم بالشعر الذين يعتبرون البحتري أشعر الناس وألهجهم بذكر الحيل والخيال [3] .

متفرقات من شعري الطائيين : وقد لاحظ الآمدي أن هنالك معاني تفرّد فيها كلّ من الشاعرين وجب النّص عليها وتقييمها جملة . من ذلك وصف البرك عند البحتري ، وسينية البحتري التي يقول فيها الآمدي : « وهي التي أجمع الناس على استحسانها والاعتراف بالفضل له فيها ، وما زلت أسمع أهل العلم بالشعر يقولون انهم لا يعرفون سينية أجود منها » [4] . ولاحظ كذلك أن ليس لأبي تمام في حرب البحر شيء [5] . هذا بالاضافة الى مجموعات من الأشعار لم يثبتها الآمدي لرداءتها وقلة مستواها في أن ترتفع الى مرتبة الموازنة [6] . ومن حرص الآمدي على النزاهة واحتراسه في الحكم والمفاضلة بين أبيات الشاعرين في المعاني المختلفة تحفّظه في بتّ الحكم في الأبيات التي تتساوى فيها الجودة ، من ذلك قول أبي تمام :

وَلَّتْ شياطينُهم عن حدِّ ملحمةٍ كانت نجُومُ القنـا فيها رُجُمَا

يقول الآمدي : « وما وراء هذا البيت غاية في حسنه وحلاوته وصحة معناه ولست أدري أيهما أجود في معناه أهو أم قول البحتري :

---

(١) الموازنة الجزء المخطوط ، ص ٨٦ ب .

(٢) نفس المصدر ، ص ١١٨ ب .

(٣) الموازنة ج ٢ ، ص ١٦٧ .

(٤) الموازنة ، الجزء المخطوط ، ص ١٦ أ .

(٥) نفس المصدر ، ص ١١١ أ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٣٢ أ ، ٤٢ أ .

قَمَرٌ يكرُّ على ٱلْكُماةِ بكوكبِ[1]

ومع أن بابي التشبيه والأمثال لا يزالان مفقودين ، الا أننا نتبيّن مما سبق معالجة الآمدي للموضوعات المختلفة . والموازنة بين معاني الطائيين فيها ، وحرصه على أن لا يفوته معنى لأحدهما دون أن يقيّمه ويدخله في الحكم النقدي . وبذلك يكون قد استقصى كل ما للطائيين من شعر في الموضوعات المختلفة . وكان حكمه على الجزئيات أولا ، وعلى جملة الأبيات والقصائد ثانيا ، شارحا معللا أسباب التفاضل حيث يسهل الحكم ، ومقتصدا متحرّجا فيه حيث تتكافأ الأدلة ، ومبيّنا الخصائص الشعرية التي تروق له والأخرى التي يرغب بذوقه الأدبي عنها ، تاركا الحكم العام بين الشاعرين للقارىء ان أحبّ ذلك بعد أن بصّره بمحاسن كل شاعر ومساوئه . ولا يهمّ كثيرا أن يترك الآمدي الحكم العام للقارىء ومزاجه . فليس من حق الناقد أن يحكم ويملي ولكن عليه أن يوضح ويفهم . والناقد الجيد هو الذي يعترف بتواضع أنه لن يصل الى حكم نهائي ، ويجب عليه أن يعترف — كما يقول جيمس ريفز James Reeves — أن مواهبه الشخصية لا تمكنه من الحكم النهائي على العمل الأدبي المعقد. والذي يؤمل أن يحققه الناقد هو أن يكتشف بعض العناصر الجمالية في العمل الأدبي لم تكن معروفة ، أويضيف جديدا . واذا لم نستطع الوصول الى أحكام نهائية ومقاييس ثابتة في الحكم على الأعمال الأدبية ، فلا يعني ذلك أننا يجب أن لا نحاول اكتشاف ذلك[2] .

وبذلك يكون الآمدي قد أدى هذه المهمة الشاقة في الموازنة بين الشاعرين في كل ما لهما من شعر على طريقة لم يسبق اليها العرب من قبل . ووضعت

---

(١) الموازنة ، الجزء المخطوط ، ص ١٠٨ أ .

(٢) أنظر : Reeves, James «The Critical Sense», P. 13 -

طريقته في الموازنة حدا للمفاوضات الجزئية بين الشعراء ، والتي شغلت رواة الأدب وعلماء الشعر وأهل اللغة حتى منتصف القرن الرابع الهجري .

٤) قيمة الموازنة وشروطها :

واضح من منهج الآمدي في موازنته أن البحتري يتفوق على أبي تمام في مجموع جزئيات الأحكام ، ولكن غاب عن ذهن الآمدي أن الشعور المستمد من تراث الشاعر ككل غيره المستمد من التراث كمجموعة أجزاء . وقد ضرب الشاعر ت . س . اليوت مثالا على ذلك قال : « ان الشعور بالمتعة في الغداء الذي يحسن ترتيبه لا يكون من عدد الصحون ولكن من امتزاج هذه الأشياء الجميلة ، وكذلك التمتع بالشعر يجب أن يكون كذلك » (١) .ففي شعر جورج هربرت George Herbert يرى اليوت أن القارىء لديوان شعره « المعبد » The Temple يخرج بشعور يختلف عما لو قرأه مجموعة قصائد : اذ أن هنالك بعض الشيء الذي يختلف في الكل عن الجزء (٢) .

ان المقارنة والتحليل هما الأدوات الرئيسية في يد الناقد (٣) . وقد تكون هذه نافعة ، ولكن الموازنه يجب أن تتناول آثار الشاعر الأدبية كلا واحدا (٤) . والشاعر المهم — في نظر اليوت — هو الذي يجب أن يدرس تراثه كله لتذوق أي جزء منه ، ويستشهد على ذلك بشعر شكسبير حيث يرى أنه يجب علينا أن نقرأ كل مؤلفاته قبل أن نستطيع تذوق كل قصيدة بمفردها (٥) .

---

(١) Eliot, T. S. «On Poetry And Poets», P. 44.

(٢) Ibid., P. 46.

(٣) «Style In Language», edited by Sebeok , Thomas A.
وأنظر : هايمن ستانلي « النقد الأدبي ومدارسه الحديثة » ج : ١ ص ١٣٣ .

(٤) Eliot, T. S. «On Poetry And Poets», P. 44.

(٥) Eliot, T. S. «The Use of Poetry», P. 44.

ونحن بدورنا نرى أن موازنة الآمدي بين الطائيين في جزئيات الأحكام قد تحيّفت على الكثير من لمع أشعار أبي تمام ، وأجحفت بحقّ هذا الشاعر العظيم ؛ والنظر الكلي الصحيح هو أن يضع الآمدي كل شعر أبي تمام في كفة ، وشعر البحتري كله في كفة ، ثم ينظر أيهما أرجح جملة .

٥) ما يؤخذ على الآمدي في موازنته

ان من أهم الشروط التي يجب توفرها في الناقد حتى يكون موضوعيا في نقده ، متجردا في أحكامه ، هو أن يشارك الشاعر آراءه حتى يستطيع تذوق شعره . يقول الدكتور ليفس Leavis في ذلك : « ان اول ما يهمّ الناقد هو محاولة الدخول في القصيدة كأنها انتاجه ؛ ويجب أن يضع نصب عينيه ازدياد الشعور بأنها ملكه . واذا ما اراد أن يصل الى أحكام نقدية قيّمة يجب أن يكون وليد شعوره بأن القطعة من نفسه ، مع التجاوب الكامل معها »(١).

ونحن نأخذ على الآمدي عدم تعاطفه مع أبي تمام ، ، بل خروجه أحيانا عن هدوء الناقد الى محاكمة الشاعر نفسه . ففي بيت أبي تمام :

إنّ من عق والدين لملعو ... نٌ ومن عقّ منزلاً بالعقيقِ

يقول الآمدي معقّباً عليه : « وما المستحق والله للعن غيره ، اذ رضي لنفسه بمثل هذا السخف »(٢) . ومثل هذا الغضب يحول بين الآمدي وقدرته على تذوق شعر أبي تمام أحسن فيه أم أساء .

---

(١) Leavis, F. R. «The Common Pursuit», P. 213.

(٢) الموازنة ، ج ١ ، ص ٥١٧ .

٦) مقارنة بين أبي تمام والبحتري

كان جمهور أبي تمام من أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة وفلسفي الكلام ، وكان أبو تمام حضريا لم ينفق شعره في البادية ولا عند أكثر الحاضرة . أما البحتري فكان بدويا تحضر ، فنفق شعره في البدو والحضر [١] . وقد ناقش الشاعر اليوت قضية نفاق الشعر أو كساده قال : « لا يهم كثيرا أن لا يكون للشاعر جمهور كبير في عصره ، ولكن المهم أن يكون هنالك فئة ولو قليلة في كل جيل » [٢] . ويرى اليوت أنه اذا تكون للشاعر جمهور كبير وبسرعة فإن ذلك يكون مصدرا للشكوك حيث أنه يقودنا الى التفكير بأنه لا يأتي بجديد وانما يقدم للناس ما اعتادوا عليه من قبل [٣] .

وهذا ما يصدق على شعر الطائيين . فالبحتري ما فارق عمود الشعر وطريقته المعهودة ، وكان يقدم لجمهوره شعراً ألفوه ، فوقع شعره في المتوسط أما أبو تمام فقد نحى منحى ميزه عمن سبقه . وقصد بالصنعة والتجديد سائر شعره ، فأحسن في بعض وأساء في البعض الآخر .

واذا كان جمهور أبي تمام من أهل المعاني وفلسفي الكلام . فذلك يدل على أن أبا تمام كان أقدر من صاحبه على تلبية ذوق هذه الصفوه من الناس التي لا نشك في أنها كانت أكثر فئات المجتمع العباسي – في القرن الثالث الهجري– احساسا بتغير الذوق ، وتجدد روح العصر بما اتصف به من ترف فكري وغنى ثقافي ، وتأنق حضاري . والذوق في كل عصر يتغير من جيل الى جيل رضينا ذلك أم أبيناه [٤] . ولكن التعبير عن هذا الذوق – كما يقول اليوت -

---

(١) الموازنة ج : ١ ، ص ٦ .

(٢) Eliot, T. S. «On Poetry And Poets», P. 21.

(٣) Eliot, Ibid, P. 21.

(٤) Leavis, F. R. «The Commom Pursuit», P. 11

لا يتغير الا في عمل الرجل العبقري [1] . ومن هنا تبرز عبقرية أبي تمام بالنسبة لعصره . فالقارىء لشعر البحتري لا يشعر بتغير أساليب التعبير عن ذوق القرن الثالث عما قبله من أساليب . ولكننا نرى في شعر أبي تمام ثورة كبرى من التغيير في أساليب التعبير عن هذا الذوق : سواء في الاكثار من ألوان البديع ، أو التغيير في طبيعة الاستعارة ، أو في ادخال العلوم والفلسفة أو في حب الابداع والاغراب والتجديد ، بحيث أن حضارة القرن الثالث وما حملته من ألوان فكرية وثقافية هي أزهى وأبين في شعر أبي تمام من معاصريه .

وكما أن عبقرية أبي تمام تبرز من خلال تعبيره عن ذوق القرن الثالث الهجري حين كانت ثمار العلوم والثقافات المترجمة غضة فجة كذلك فان عبقرية المتنبي تبرز من خلال تعبيره عن هذا الذوق حين كانت هذه الثمار في دور النضج . بحيث يصح أن يكون شعرهما منعطفين من منعطفات الحضارة العربية التي لا غنى لمتتبع تاريخها وتطورها من الوقوف عندهما ودراستهما.

وكما تبرز عظمة وردز ورث **Words Worth** في الأدب الانجليزي أو عظمة جوته **Goethe** في الأدب الألماني — من خلال تمثيل شعرهم لروح العصر وثقافته [2] ، كذلك تبرز عظمة أبي تمام والمتنبي في الأدب العربي .

من ذلك نرى أن مبدأ الآمدي في الموازنة بين الطائيين في جزئيات الأحكام ، يضيق عن تذوق شعر أبي تمام وتقييمه .

---

(١) Ibid., P. 11.

(٢) أنظر : Eliot, T. S. «The Use of Poetry», P. 102.

حـ) تأليف الكتاب :

١) زمن تأليف كتاب الموازنة : من المعلوم أن وفاة أبي تمام كانت سنة ٢٣١ هـ(١) والبحتري سنة ٢٨٥ هـ(٢) . فكتاب الموازنة جاء بعد تراخي الزمن على الخصومة التي اشتدت حول شعر أبي تمام ، ومع أننا لم نقع على نص صريح يحدّد زمن تأليفه ، الا أننا سنحاول تبيين ذلك ولو على وجه التقريب . وقد صرّح الآمدي أنه كان قد أخذ نفسه بدراسة شعر أبي تمام والبحتري منذ عهد مبكر من حياته ، وأنه كان يتلقّط محاسنهما في الشعر منذ سنة ٣١٧ هـ ، وكان يلحق بهذه المحاسن كل ما وجده بعد ذلك على مرّ الأوقات (٣).

ويبدو أن فكرة الموازنة أو على الأقل فكرة تحديد خصائص كل من الشاعرين كانت مختمرة في ذهن الآمدي . فهو في المقدمة يقول : « هذا ما حشت ... على تقديمه من الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وأبي عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري في شعريهما » (٤). واذا فلم يكن للمخاطب – في المقدمة – من فضل أكثر من الحث والتشجيع على تلخيص الكتاب من المسوّدات أو الملاحظات المكتوبة . هذا وقد وردت فقرات في تضاعيف الكتاب تدلّ على أن تأليفه كان في المرحلة البصرية الثانية من مراحل حياة

(١) الصولي ، أخبار البحتري ، ص ٦٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٩١ .

(٣) الموازنة ، جـ ١ ، ص ٥٢ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٥ .

الآمدي . ففي بحث الآمدي لكلمة « المطابق » يقول : « وقد رأيت قوما من البغداديين يسمّون هذا النوع المجانس المماثل » [١] . وفي موضع آخر يقول: « وعهدت مُجّان البغداديين يقولون ... » [٢] . مما يغلب الظن على أن زمن تأليف الكتاب كان بعد مغادرته بغداد ورجوعه الى البصرة . واذا علمنا أن الآمدي لم يذكر أحدا من أنصار أبي تمام وخصومه الأحياء — في كتاب الموازنة فإنني أستبعد أن يذكر الصولي في معرض الذم والتجريح — وهو بعد حيّ — لاسيما أن الصولي كان في آخر عمره بالبصرة [٣] . يقول الآمدي في تحقيق أحد النصوص : « ...حتى رجعت الى النسخة العتيقة التي لم تقع في يد الصولي وأضرابه » [٤] . ومعلوم [٥] أن الصولي توفي سنة ٣٣٥ هـ أو سنة ٣٣٦ هـ [٦] . وبذلك يكون تأليف كتاب « الموازنة » بعيد سنة ٣٣٦هـ بزمن قليل من الصعب تحديده .

٢) أجزاء الكتاب : حرص الآمدي على تقسيم كتابه الى أجزاء مفردة حسب الموضوعات ، وغرضه من ذلك أن يجلو كل بحث دون أن يضطره سياق التأليف الى الايجاز والاسراع . وقد لاحظ أن هنالك كثيرا من الأبيات التي علّم عليها طوال مدارسته لدواوين الشعراء لم يستطع حصرها وقت

(١) الموازنة ، ج ١ ، ص ٢٧٥ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٤٤٣ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٤٤٣ .
(٣) الفهرست ، ص ١٥٠ .
(٤) الموازنة ، ج ١ ص ٢٠٥ .
(٥) ابن خلكان ، ج ٣ ، ص ٤٨٠ .
(٦) المرزباني ، معجم الشعراء ، نشر كرنكو ، ص ٤٦٥ ، وأنظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٢٠ .

التأليف [١] . هذا بالاضافة الى أن هنالك استطرادات تخرج عن سياق التأليف فأحبّ أن يوفيها حقها في أجزاء مفردة .

ويبدأ كتاب الموازنة بالمحاجّة بين أنصار أبي تمام وأنصار البحتري، ثم مساوىء الشاعرين فسرقات أبي تمام واحالاته وغلطه وساقط شعره ؛ فسرقات البحتري من أبي تمام وما وقع من غلط في بعض معانيه ثم الموازنة بين الشاعرين . وقد صرّح الآمدي أنه سيفرد بابا لما وقع في شعر الطائيين من التشبيه ، وباباً للأمثال ، ثم يتبع ذلك بالاختيار المجرّد من شعريهما ويجعله مؤلفا على حروف المعجم ليقرب متناوله ، ويسهل حفظه[٢] ، الا أن بابي التشبيه والأمثال ثم الاختيار المجرّد من شعرهما لم تصل الينا [٣] .

٣) منهج الكتاب : قام الآمدي بجمع كل ما وصل الى يديه من كتب وروايات وآراء ونصوص تتعلق بالطائيين وشعرهما ، ثم أورد ما يهمه من هذه الروايات على صورها الأصلية ، وبعد ذلك أخذ في مناقشتها وتمحيصها وتحقيق نسبة النصوص وأخذ الصالح منها ، وأضاف الى ذلك ما سمعه من روايات الى جانب آرائه الخاصة . فكانت طريقته علمية في معظم ما جمع وألّف واستنتج ، وفيما يلي محاولة لاثبات صحة ما نذهب اليه .

١ – الرجوع الى المصادر : عرض الآمدي لذكر جميع المصادر الأدبية وغير الأدبية التي أخذ عنها ، ولم يكتف بالاشارة السريعة اليها ، بل كان غالبا ما يردفها بذكر مؤلفيها ويحدّد الباب الذي أخذ عنه من الكتاب . ففي بيت لأبي

---

(١) الموازنة ، ج ١ ص ١٣٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٥٤ .

(٣) يستغرق باب الموازنة التفصيلية بين الشاعرين المجلد الثاني من كتاب الموازنة (نشر أحمد صقر) ، والجزء المخطوط الذي ينتهي بنهاية « وصف الشعرين لشعرهما » من الموازنة التفصيلية .

تمام يقول الآمدي : « وقد عاب أبو العبّاس عبدالله بن المعتز بعض هذه الأبيات في كتاب « البديع » جاء بها في قبح التجنيس »[1]. أما المصادر التي ذكرها الآمدي في الموازنة فهي :

(١) « الطبقات » لابن سلاّم الجمحي[2].

(٢) « الشعراء » للشاعر دعبل الخزاعي[3].

(٣) « البديع » لابن المعتز[4].

(٤) « سرقات الشعراء »لابن المعتز[5].

(٥) « الشعراء » لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح[6].

(٦) « الورقة » لأبي عبد الله الجراح أيضا[7].

(٧) « سرقات البحتري من أبي تمام » لأبي الضياء بشر بن يحيى[8].

(٨) « الاختيارات الشعرية » لأبي تمام[9].

(٩) « معاني الشعر » للاشناندانى[10]

---

(١) الموازنة ج ١ ، ص٢٦٩ ، وأنظر أمثلة أخرى في الموازنة ج ١ ، ص ٢٥٧ ، ٢٨٦ .

(٢) الموازنة ج ١ ، ص ١٠ ، ٣٩١ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٣ ، ٣٩١ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ١٣٤ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٧٤ ، ٢٥٧ .

(٦) نفس المصدر ، ص ١٩ ، ٢٦ .

(٧) نفس المصدر ، ص ١٣٤ .

(٨) نفس المصدر ، ص ٥٢ ، ٣٠٤ .

(٩) نفس المصدر ، ص ٥٥ .

(١٠) نفس المصدر ، ص ١٠٤ .

(١٠) « سرقات أبي تمام » لابن أبي طاهر[١] .

(١١) « أخطاء أبي تمام » لأبي العبّاس أحمد بن عمّار القطربلّي[٢] .

(١٢) « الغريب المصنف » لأبي عبيد القاسم[٣] .

(١٣) « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر[٤] .

(١٤) « كتاب الخيل » لأبي عبيدة[٥].

(١٥) « كتاب الأنواء » لأبي حنيفة الدينوري[٦] .

(١٦) « النوادر » لأبي زيد[٧] .

(١٧) « النوادر » لابن الاعرابي[٨] .

هذا بالاضافة الى كتب شيوخه من أهل اللغة والنحو من مثل أبي العبّاس ثعلب ، وأبي العبّاس المبرّد ، والزجّاج والكسائي والفرّاء وابن دريد وغيرهم علاوة على دواوين الشعر المختلفة .

٢ ـ تحقيق النصوص ونسبتها : يحرص الآمدي على البت في أمر النصوص المختلفة : فيوثقها ان توافرت الأدلة على صحتها ، أو يبدي شكه فيها إن أعوزها الدليل : ففي بيت لبعض شعراء بني أسد يقول الآمدي : « وظننته

---

(١) الموازنة ، ج : ١ ، ص ١١٠ .
(٢) نفس المصدر ، ص ١٣٦ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٢٣٥ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٢٧٤ .
(٥) نفس المصدر ، ص ٢٨٦ .
(٦) نفس المصدر ، ص ٤٥٦ .
(٧) نفس المصدر ، ص ٤٦٦ .
(٨) نفس المصدر ، ص ٣٦٢ .

مصنوعا حتّى وجدت عبد الله بن المعتز ذكر ... عجز هذا البيت للكميت بن زيد »[1] وفي بيت للابرد بن المعذّر الرياحي يقول :« وقد جعل بعض الرواة هذا البيت أول قصيدة لامرىء القيس على هذا الوزن . وذلك باطل »[2] .
وفي ردّ الأبيات الى قائليها يقول الآمدي عن أبيات وجدها في ديوان ابن قيس الرقيات « والصحيح أنها لأبي العبّاس الأعمى »[3] .

هذا بالاضافة الى الرجوع — في تحقيق شعر الطائيين — الى مختلف النسخ من ديوانيهما . مع مقارنة هذه النسخ بعضها ببعض . ففي بيت لأبي تمام يقول : « ... والذي في نسخة أبي سعيد السكري وأبي العلاء محمد بن العلاء وغيرهما ... الخ »[4] . وكثيرا ما يردّد الآمدي ذكر النسخ المختلفة التي رجع اليها في تحقيق شعر الطائيين كقوله : « كذلك وجدته في أكثر النسخ »[5] « وقد رأيت في بعض النسخ »[6] ، و« وجدت في أكثر النسخ العتق »[7] .

٣ — الرجوع الى اهل الاختصاص : وتبدو دقّة الآمدي في البحث ، وطريقته العلمية في التأليف في الرجوع الى أهل الاختصاص — كل في ميدانه — فيما دقّ عليه من معان . بحيث لم يترك مجالا للحدس أو التوهم . ففي مايتصل بالخيل وأسمائها وطبائعها يرجع الى كتاب « الخيل » لأبي عبيدة[8] . وفي

---

(١) الموازنة ، ج ١ ، ص ٧٤ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٤١٧ .
(٣) الموازنة ، ج١ ، ص ١٤١ .
(٤) الموازنة ، ج ٢ ، ص ٤٦ .
(٥) الموازنة ، ج ١ ، ص ٣٨٦ .
(٦) نفس المصدر ، ص ٣٨٧ .
(٧) الموازنة ، الجزء المخطوط ص ١٣٣ .
(٨) الموازنة ج ١ ، ص ٢٨٦ .

باب« الرياح » وأسمائها يرجع الى كتاب « الأنواء » لأبي حنيفة الدينوري [١] وفي الغريب من المفردات يرجع الى كتاب « الغريب المصنف » لأبي عبيد القاسم [٢]. وغير ذلك من كتب اللغة والتفسير أتينا بها على سبيل المثال لا الحصر .

---

(١) الموازنة ج ١ ص١٥٦ ، ٤٥٦ .

(٢) الموازنة ج ١ . ص ٢٣٥

الباب الثالث

الآمدي الناقد من خلال كتاب الموازنة

الآمدي الناقد من خلال كتاب الموازنة

أ. قضية القديم والمحدث :

كان أئمة اللغة يقبلون على الشعر الجاهلي للاستشهاد به في التفسير والنحو ، ولم يكونوا يلقون بالاً الى الشعر المحدث لقلّة ثقتهم به . ومع الزمن اكتسب الأدب الجاهلي تمجيدا وتعظيما بسبب كونه وسيلة لغاية مقدّسة . فقد كان أبو عمرو بن العلاء لا يعد الشعر الا ما كان للمتقدمين [1] وكان ابن الاعرابي يقول : « القديم أحب الي » [2] . وقد لخص ابن رشيق القيرواني آراء أئمة اللغة في الشعر قال : « هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه : كالأصمعي وابن الأعرابي ـ أعني أن كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب ويقدّم من قبلهم ـ وليس ذلك لشيء الا لحاجتهم في الشعر الى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون ثم صارت لحاجة » [3] . ويقول الجاحظ : « ولم أر غاية النحويين الا كلّ شعر فيه اعراب ، ولم أر غاية رواة الاشعار الا كلّ شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج الى الاستخراج ولما أر غاية رواة الأخبار

(١) ابن رشيق ، العمدة ، ج ١ ، ص ٩٠ .
(٢) المرزباني ، الموشح ، ص ٣٨٤ .
(٣) العمدة ، ج١ ، ص ٩٠ — ٩١ .

الاّ كلّ شعر فيه الشاهد والمثل »[1] .

والواقع أن أئمة اللغة والاخباريين لم ينظروا الى الشعر المحدث نظرة تحليلية كاملة، ولهذا لم يستطيعوا — من خلال مذهبهم — تعليل جمال الشعر القديم وسبب اعراضهم عن الشعر المحدث . روى عبد الله التميمي قال : « كنا عند ابن الأعرابي ، فأنشده رجل شعرا لأبي نواس أحسن فيه فسكت . فقال له الرجل : أما هذا من أحسن الشعر ؟ قال : فقال بلى ، ولكن القديم أحب الي »[2] .

أما الأدباء — وفيهم الكتاب — فكانوا يرون أن الشعر المحدث أرق ألفاظاً ، وأبدع معاني ، وأكثر تعبيرا عن مظاهر الحضارة الجديدة بما فيها من رياض وقصور وخمر وريحان ، فالقدماء في هذه أبداً دونهم ، كما أنهم دون القدماء في وصف الصحاري والبرّ والوحش والإبل والأخبية[3] .

ومنذ أوائل النصف الثاني من القرن الثالث الهجري بدأت طائفة من الأدباء ممن أقبلو على دراسة الشعر القديم والمحدث معا على حدّ سواء ، ينظرون الى الجيّد من الشعر غير آبهين بمصدره أو زمان قائله . وأول أولئك الأدباء الجاحظ (ت٢٥٥ هـ) الذي دعا البصير بجوهر الشعر أن يتعرّف موضع الجيد ممن كان وفي أي زمان كان[4] .

وجاء أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) بآراء تطبيقية في المفاضلة بين الشعراء — وهو في ذلك تلميذ الجاحظ — قال : « ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له ، سبيل من قلّد أو استحسن باستحسان غيره . ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، والى المتأخر بعين الاحتقار

---

(١) البيان والتبيين ، ج ٤ ، ص ٢٤ .

(٢) المرزباني ، الموشح ، ص ٣٨٤ .

(٣) أنظر الصولي ، أخبار أبي تمام ، ص ١٧ .

(٤) كتب الحيوان ، ج ١ ، ص ١٣٠ .

لتأخره . بل نظرت بعين العدل على الفريقين ، وأعطيت كلاً حظّه ووفرت عليه حقّه » [1] . ومثل هذه النظرة من أديب لغوي ومقدّم عند أئمة اللغة تعتبر طفرة جديدة في تغيّر ذوق اللغويين ، وفي تقريب الشعر المحدث اليهم .

وجاء ابن المعتز (ت ٢٩١هـ) فدرس الشعر المحدث دراسته للشعر القديم وألّف رسالة في محاسن شعر أبي تمام ومساويه [2] ، أشار فيها الى مواطن الجودة والابداع في شعره ، وبيّن الرذل والساقط من معانيه . ودافع ابن المعتز عن أبي تمام وطريقته الشعرية قال : « وأكثر ما له جيد ، والرديء الذي له انما هو شيء يستغلق لفظه فقط ، فأما أن يكون في شعره شيء يخلو من المعاني اللطيفة ، والمحاسن والبدع الكثيرة فلا » [3] .

وما أن جاء نقدة القرن الرابع الهجري حتى كانت أشعار الأوائل قد ذلّلت لهم وكانو قد ألفو أشعارا المحدثين وتدارسوها فجمعوا بين الشعر القديم والمحدث. وقد كان لغنى عصرهم الأدبي والفلسفي أثر كبير في تعزيز أذواقهم الأدبية بالعلل والأسباب فجاء نقدهم قريبا من الدراسة العلمية الواقعية — كقدامة بن جعفر ولحدّ ما صاحبنا أبي القاسم الآمدي ، والقاضي عبد العزيز الجرجاني .

---

(١) الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ١٠ .

(٢) راجع فصولا من هذه الرسالة في كتاب « رسائل ابن المعتز » جمع محمد عبد المنعم خفاجي ، وكتاب « الموشح » للمرزباني .

(٣) طبقات الشعراء ، ص ٢٨٦ .

ب . قضية اللفظ والمعنى :

١) ثنائية اللفظ والمعنى : لقد استحوذ على نظرة الأقدمين من أهل العلم بالشعر – وفيهم الآمدي – فكرة الثنائية بين اللفظ والمعنى . فالجاحظ يرى الشعر ضربا من النسيج وجنسا من التصوير [١] . والآمدي يرى الشعر صناعة كغيره من الصناعات [٢] . وذهب عبد الجبار المعتزلي الى أن حال التأليف حال الثياب المنسوجة [٣] . وشبّه ابن خلدون الألفاظ بالقوالب والأواني [٤] . في كلّ هذه التعبيرات وما يشبهها – يقول الدكتور مصطفى ناصيف : « تعتبر اللغة مجرّد كساء نغطي به أفكارنا ، أفكارنا موجودة واللغة غلاف عليها . والغلاف معروف منفصل عما يحتويه . هناك محتوى منفصل عن الصورة الخارجية التي جيء بها لكي يبدو أكثر وجاهة . الغلاف لا يغيرّ طبيعة المحتوى ولا يدخل عليه تعديلا جوهريا [٥] . المبنى يضاف الى المعنى كما يضاف الغطاء الى وعائه . أو كما يلبس الانسان ثوبه [٦] .

والجاحظ في قوله : « المعاني مطروحة في الطريق . يعرفها العجمي والعربي

---

(١) أنظر كتاب الحيوان ، ج ٣ ، ص ١٣٢ .
(٢) أنظر : الموازنة ، ج ١ ، ص ٤٠٢ .
(٣) المغني ، ج١٦ ، ص ٢٠١ .
(٤) المقدمة ، ج ١ ، ص ٥٠٦ .
(٥) نظرية المعنى في النقد العربي ص٤١ .
(٦) نفس المصدر والصفحة .

والبدوي والقروي والمدني . وانما الشأن في اقامة الوزن وتخيّر الألفاظ وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك »[1] . قد أعطى للآمدي فكرة الصياغة الشعرية . فالآمدي يرى أن لطائف المعاني موجودة في كل أمة وفي كل لغة ، ومن أتى بها يصح أن يُسمّى حكيما أو فيلسوفا ولكن لا يُسمّى شاعرا لأن طريقته ليست على طريقة العرب ولا على مذاهبهم[2] . والشعر عند الآمدي هو حسن التأتي ، وقرب المأخذ ، واختيار الكلام ، ووضع الألفاظ في مواضعها ، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله »[3] . فالالفاظ عند الآمدي هي الاصل . والمعاني شيء ثانوي . ومثل هذه الثنائية بين اللفظ والمعنى حالت دون نظرة الآمدي الى الصياغة الشعرية على أنها خلق لمعنى جديد ، وأن هذه الصياغة « تأتي من الأصوات والمقاطع والمعاني وكلّ تلك الصلات التي يكتشفها الشعراء بينها او التي يأتون بها الى حيّز الوجود . وأنه من عمل الشعراء ايجاد هذه الصلات وهذا يعني اختراعهم لها »[4] . ان الصياغة الشعرية تتميّز — كما يقول الدكتور ليفس Leavis بالقوى المتنوعة والحركات التي توجّه الشعر والتي تفرض نفسها على القارىء عند يلفظ الُجمَل ،ويتتبعُ الكلمات ويحافظ على السياق العام[5].

ان نظرة الآمدي الى الصياغة الشعرية على أنها ضرب من تخيّر الألفاظ تجمّد الشعر عند حدود التفنن الشكلي والبراعة النافلة . وسيبقى الشاعر تبعاً لذلك أسير اللغة وقوالبها ، يقدّم ويؤخر . ويصل ويفصل حتى تبدو بشكل رائق . وبذلك يبقى الشاعر قابعا في ظلال المعاني المتداولة المعروفة .أما أن يبصر الشاعر

---

(١) كتاب الحيوان ، جـ٣،ص١٣١ .
(٢) الموازنة ، جـ١،ص ٤٠١ .
(٣) الموازنة ، جـ١ ص ٤٠٠ .
(٤) أنظر : Brower, «on Translation», P. 68.
(٥) Leavis, F. R. «The Common Pursuit», P. 16

أفقا أعلى من أفقه . أو يلمح رؤى وعلاقات يعزّ على غيره رؤيتها فذلك ما لم يدركه الامدي . وقد كان الامام عبد القاهر الجرجاني أبعد نظرا في تقسيمه المعاني الى عقلية وتخييلية وتبيينه أن المعاني التخييلية هي ميدان السبق . ومجال التفوق . ففي قول أبي تمام :

لاتنكري عَطَلَ الكريم من الغنى   فالسيلُ حربٌ للمكانِ العالي

يقيم الشاعر علاقات تخييلية بين الكريم والمكان العالي ، وبين الغنى والسيل ، وهذه العلاقات غير موجودة في واقع العقل ، وانما أقامها الشاعر من خلال رؤيته الكاشفة للعلاقات بين الأشياء ، ومن خلال لمحه لأوجه شبه لا يراها العادي من الناس ، ومن هنا فالشاعر في رؤيته الكاشفة للعلاقات بين الأشياء قد يضارع الكشف الفلسفي والصوفي .

ان البحتري الذي وقف الآمدي عند شعره معجبا مصفقا ليتضاءل أمام هذه الومضات العملاقة التي حلّق أبو تمام الى آجوائها والتي لا تحلم البحتري بالوصول اليها . ولعلّ البحتري قد لمس هذا العجز بنفسه عندما قال معترفا : « جيّده خير من جيّدي »[1] . ان الآمدي لم يستطع بمقاييسه الشعرية الضيقة أن يبصر هذه الومضات الكاشفة في شعر أبي تمام فطفق يبحث له عن لفظة مستغربة . أو نسج مضطرب . أو خطأ نحوي أو عروضي . ولما استطاع المتنبي (ت٣٥٤هـ) أن يتابع خط أبي تمام دون أن تتخون شعرَه اللغةُ لم يستطع الآمدي أن يحريَ جوابا ،ولعلّ ذلك ما يفسرّ اشاحة الآمدي عن شعر المتنبي وعدم ذكر شيء له في تضاعيف كتبه .

٢) الألفاظ في الشعر : يرى الآمدي أنه ينبغي على الشاعر الحضري أن يأتي في شعره بالألفاظ العربية المستعملة في كلام الحاضرة . فإن اختار أن يأتي

---

(١) الموازنة ، ج١ ، ص ١٢

بما لا يستعمله أهل الحضر . فمن سبيله أن يجعله من المستعمل في كلام أهل البدو دون الوحشي الذي يقلّ استعمالهم اياه ، وأن يجعله متفرقا في تضاعيف ألفاظه ، ويضعه في مواضعه، فيكون قد اتسع مجاله بالاستعانة به ، ودلّ على فصاحته وعلمه وتخلّص من الهجنة [١] . والآمدي في ذلك تلميذ البلاغيين الذين ينزلون الألفاظ منازل متفاوتة . فالجاحظ يحظر على ابن الحاضرة استعمال الغريب الوحشي ، ولكنه يسامح البدوي والاعرابي [٢] . ويقول : « الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس » [٣]. ويقول ابن المعتز : « ولم نعبأ من هذه الألفاظ شيئا غير أنها من الغريب المصدود عنه ؛ وليس يحسن من المحدثين استعمالها لأنها لا تجاور بأمثالها ، ولا تتبع أشكالها ، فكأنها تشكو الغربة في كلامهم » [٤] .

ولا يرذل البلاغيون وفيهم الآمدي - الوحشي من الألفاظ لوحشيته ولكنهم يرون أن للحاضرة ألفاظا رقيقة تلائم طبيعتها كما أن للبادية ألفاظا تلائم طبيعتها .

وان كنا نعجب بمبدأ الآمدي في استهجان الوحشي من الألفاظ ، فاننا لا نوافقه في ارذال العامي منها لعاميته ، أو أن تكون اللفظة من ألفاظ العوام- كما يقول سخيفة في نفسها [٥] ففي قول أبي تمام :

جَلّيت والموتُ مُبدٍ حُرَّ صفحتِه وقد تَفَرْعَنَ في أفعالِهِ الأَجَلُ

يرى الآمدي أن « تفرعن » مشتق من اسم فرعون وهو من ألفاظ العامة كما يقول - وفي غاية الركاكة والسخافه [٦] . وفي قول أبي تمام :

(١) الموازنة ، ج ١ ، ص ٤٤٤ .
(٢) البيان والتبيين : ص ١٤٤ .
(٣) نفس المصدر والصفحة .
(٤) رسائل ابن المعتز ، ص ٢٣ .
(٥) الموازنة ، الجزء المخطوط ص ١٨ .
(٦) الموازنة ، ج ١ ، ص ٢٧٧ ، والموازنة ، الجزء المخطوط ، ص ٩٤ .

مَن ذاكَ أُجهدُ أَن أَراهُ ولا   أَرى حَقًّا سِوىٰ الدُّنيا تُسمَّيٰ باطلا

يرذل الآمدي قول أبي تمام « أجهد أن أراه » لأنه كما يقول: من سخيف ألفاظ العوام ، وليس من ألفاظ الشعر [١] .

ومثل هذا المبدأ في تخليص الشعر من الألفاظ العامية يحجّر حيويتها ، وينشّف عروق الحياة فيها ويحيلها الى رسوم عقيمة ، فاللغة كأي كائن حي في تطور مستمر لأنها تعبير مستمد من الحياة . وقد تغنى اللغة بالاشتقاق من اللغات المحلية والعامية – كما هو الحال في اللغات الجرمانية – واللغة التي لا تقبل الاضافة من لغات أخرى هي لغة جامدة ومآلها الى الفناء . يقول الدكتور علي عبد الواحد في سياق كلامه عن اللغويين الذين يحاولون الحفاظ على اللغةالمكتوبة « حقاً انه يمكن التحكم في لغة الكتابة والجمود بها زمنا طويلا على أصولها القديمة أو ما يقرب منها . ولكن لغة الكتابة التي تجمد بهذا الشكل لا تمثّل تمثيلا صحيحا حالة الحياة في الأمة ، وتتسع كثيرا مسافة الخلف بينها وبين لغة المحادثة ، لأن هذه اللغة الأخيرة في تطور مطّرد ... فلاتنفك تبعد عن لغة الكتابة الجامدة حتى تصبح كل منهما غريبه عن الأخرى ، ويصبح تعلم لغة الكتابة في الأمة أشبه بتعلم لغة أجنبية » [٢] . ويشبه فيندرايس **Vendryes** لغة الكتابة الجامدة بجبل من الثلج الطافي على سطح البحر ، ولغة المحادثة المتطورة بالتيارات المائية التي تموج تحته . فمهما طال بقاء هذا الثلج ، فان مصيره الى الذوبان ، وحينئذ تطفو تلك التيارات المائية الى سطح البحر ، وتعيد اليه مـــا كان مستورا تحت هذا الجبل الجامد من مظاهر النشاط والحياة [٣] .

ويرى الأستاذ أحمد أمين أن كثيرا من الكلمات العامية تصبح بمرور

(١) الموازنة الجزء المخطوط ، ص : ١٨ أ .

(٢) علم اللغة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٥٧ م ، ص ٢٢٨ .

(٣) Vendryes, J. «Language», P. 275 - 276.

الزمن صحيحة جديرة بالا ستعمال في الأسلوب الأدبي ، وأنه ليس هناك من قاعدة عملية عامة يمكن أن توضع كمرشد في مثل هذه المسائل الا مهارة الأديب ولباقته (١) .

٣) الاستعارة : هي استعارة المعنى لما ليس هو له اذا كان يقاربه أو يناسبه أو يشبهه في بعض أحواله ، أو كان سببا من أسبابه (٢) . والاستعارة موجودة في كل لغة (٣) ، وهي وسيلة للتعبير عن الفكرة المعقّدة لا عن طريق التحليل أو طريق الاخبار المباشر ولكن عن طريق اللمح السريع لوجه الشبه بين الاشياء المتفرقة (٤) . ومن هنا تتباين عبقريات الشعراء في اتساع الأفق والرؤية الكاشفة واللمح السريع لأوجه الشبه والصلات بين الأشياء ، ولذلك قال أرسطو : «الاستعارة سمة العبقرية » .

ان الآمدي وغيره من اللغويين (٥) كانوا يأخذون على أبي تمام اغرابه في الاستعارة ويرون ذلك عيبا وتقصيرا ، وكانوا يشترطون وضوح وجه الشبه بين المستعار والمستعار له ليكون كلامه مفهوما . أما أبو تمام فكان يتعمّد الايغال في الاستعارة ، ويحوّم على أوجه شبه تدّق وتخفى على غيره من الناس ، ولذلك كان جواب من سأله : لم تقول ما لا يفهم ؟ قوله : لم لا تفهم ما يقال (٦) ؟

ان الآمدي لم يستطع أن يتابع أبا تمام في أوجه الشبه والصلات التي يعقدها

---

(١) النقد الأدبي ، جا ، ص ١١٠ .

(٢) أنظر الموازنة ، ج ١ ، ص ٢٥٠ ، والسكاكي ، مفتاح العلوم ، ص ١٦٤ ..

(٣) أنظر : Empson, William, «The Structure of Complex Words», p.331

(٤) Ibid., p. 339

(٥) أنظر الوساطة ، ص ٤٣٣ ، ومفتاح العلوم ، ص ١٦٤ .

(٦) الموازنة ، جا ، ص ٢١ .

بين الاشياء في استعاراته ، فطفق ينحو عليه باللائمة لخروجه عن الصلات الواضحة القريبة . ولذلك نقول ان مقاييس الآمدي النقدية قد قصّرت عن تفهّم استعارات أبي تمام .

ان الشاعر سيبقى أبداً رائداً ومبدعاً ؛ وعلى الناقد أن يَفْهَمَ ويوضّح . والشاعر برؤيته الكاشفة للصلات الدقيقة القائمة بين الأشياء يستطيع — كالفيلسوف — أن يبنيَ من الجزئيات رؤية كلية واضحة للوجود وللحياة . فهو يستوي على مرتبة لا تقل عن الفيلسوف أو الصوفي في السبق الى هذه الرؤية الكاشفة .

ولا بأس من الوقوف قليلا عند بعض استعارات أبي تمام التي ينزع فيها الى الاغراب . يقول أبو تمام من قصيدته في فتح عمورية :

يا يومَ وقعةِ عموريَّة انصرفت عنكَ المُنى حُفَّلاً معسولَةَ الحَلَبِ

يقول أبو تمام : ان الأماني الحافلة بالتطلع الى النصر وأمل الغلبة أصبحت بفتح القلعة حلوة حلاوة العسل ، انها أشبه بضرع حافل يدرّ عسلاً .

أن يكون هناك ضرع يدر عسلا بدل الحليب ؟ تلك صورة غريبة ولكنها صورة معبّرة عن الحضارة الرخيّة في القرن الثالث الهجري . وفي قول أبي تمام :

رقيقُ حواشي الحِلم لو أن حلمَه بكفيّكَ ما ماريت في أنه بُرْدُ

يقول الآمدي : « والخطأ في هذا البيت ظاهر ، لأني ما علمت أحدا من شعراء الجاهلية والاسلام وصف الحلم بالرّقة ، وانما يوصف بالعظم والرجحان والثقل والرزانة »[1] وهنا نرى الفرق شاسعا بين ذوق أبي تمام الذي كان

(١) الموزنة ، ج ١ ، ص ١٣٨ .

صورة لحضارة القرن الثالث الهجري ، بما تحمل هذه الحضارة من ترف فكري وحضاري وتأنق في جميع مظاهر الحياة ؛ وبين ذوق الآمدي الذي ظلّ أسير صور البداوة وخشونتها . وواضح أن أبا تمام كان ينزع في استعارته الى نوع من التأثير بطريق التداعي أو ما يسميه الغربيون Association ولا تخفى مثل هذه الوسيلة ونجاحها في أساليب الدعـــاية والعرض والاعلان في حضارتنا المعاصرة . فقد جمع أبو تمام في بيته السابق بين الحلم وحواشي الأبراد كتعبير عن الرقّة والظرف. ولم يكن أبو تمام يجهل تشبيه العرب الحلم بالجبال ، وهو الذي أعجب الأقدمين باختياراته الشعرية حتى قال المبرد : « ما رأيت أحدا قط أعلم بجيد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام » [1] . ويقول الآمدي : « ...وانه ما فاته كثير من شعر جاهلي ولا اسلامي ولا محدث الا قرأه وطالع فيه » [2] .

---

(١) المرزوقي ، شرح الحماسة ، ص ١٤ .

(٢) الموازنة ، ج ١ ، ص ٥٦ .

ج . قضية السرقات الشعرية

جاء الآمدي بعد تراخي الزمن على الخصومة الأدبية التي قامت حول شعر شعر أبي تمام والبحتري ، فوجد عدّة كتب قد أُلّفت في سرقات أبي تمام والبحتري بالاضافة الى السرقات المتفرقة التي وردت في تضاعيف الكتب التي أُلّفت في أخبار الشعراء ومعانيهم : وأهم هذه الكتب هي :

(١) كتاب « سرقات الشعراء » لابن المعتز . وقد نقل عنه الآمدي في مواضع متفرقة من كتاب الموازنة [١] .

(٢) كتاب « سرقات الشعراء » لابن ابي طاهر [٢] (ت ٢٨٠هـ) .

(٣) كتاب « سرقات البحتري من أبي تمام » لابن أبي طاهر [٣] أيضاً .

(٤) كتاب « سرقات البحتري من أبي تمام » لأبي الضياء بشر بن يحيى الكاتب [٤] .

(٥) كتاب « السرقات الكبير » لأبي الضياء بشر بن يحيى الكاتب [٥] .

---

(١) أنظر : الموازنة : ج١ ص ٧٤ ، ص ٢٥٧ : ٢٦٤ ، ص ٢٨٦ .

(٢) الفهرست ص ١٤٦ ، معجم الأدباء : ج ٣ : ص ٨٧ .

(٣) الفهرست ص ١٤٦ ، معجم الأدباء : ج ٣ : ص ٨٧ .

(٤) الفهرست ص ١٤٩ ، معجم الأدباء ، ج ٧ : ص ٧٥ .

(٥) الفهرست صفحة ١٤٩ : معجم الأدباء : ج ٧ ، ص ٧٥ .

وسنحاول فيما يلي تبيان القواعد العامة التي سار عليها الآمدي في معالجته لقضية السرقات الشعرية :

يمضي الآمدي على سنن شيوخه في أن السرقات ليست من كبير مساوىء الشعراء يقول : « ان من أدركته من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوىء الشعراء . وخاصة المتأخرين اذ كان هذا بابا ما تعرّى منه متقدم ولا متأخر »[1] . ويصرّح الآمدي بأنه لم يعبأ بسرقات أبي تمام والبحتري ولكن أصحاب أبي تمام ادعوا أنه أول سابق ، وأنه أصل في الابتداع والاختراع ، فكان لزاما عليه أن يخرج ما استعاره أبو تمام من معاني الناس[2] ولتحقيق العدل في الموازنة بين الشاعرين وجب عليه – كما يقول – تتبع ما أخذه البحتري أيضا من معاني الشعراء[3] . وفي ما يلي محاولة لحصر مبادىء الآمدي في تحديد السرقات :

١) يقرّر الآمدي أن السرق انما يكون في البديع الذي للناس فيه اشتراك. والمعنى البديع في تعريف الآمدي هو المعنى الذي يخترعه الشاعر ويختص به مما ترتفع الظنّة فيه أن يقال انه قد أخذه من غيره[4] . فقد كان أبو تمام يقول : أنا ابن قولي :

نَقِّل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحبُّ إلا للحبيب الأوَّلِ

كم منزلٍ في الأرضِ يألفُه الفتى ... وحنينه أبداً لأول منزلِ

تماما كما كان أبو نواس يقول : أنا ابن قولي :

---

(١) الموازنة ، ج١ ، ص ٢٩١ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٢٥ .

إذا امتحنَ ٱلدُّنيا لبيبٌ تكشَّفَت   له عن عدوٍّ في ثيابِ صديقِ

وكما كان يقول مسلم بن الوليد :

تجود بالنفس إذ ضن الجواد بها   والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وكما يقول دعبل : أنا ابن قولي :

لا تعجبي يا سلمُ مِـنْ رجـلٍ   ضَحِكَ المشيبُ برأسهِ فَبكى[(١)]

٢) يؤكد الآمدي أثر البيئة الواحدة في تجهيز الشعراء بحشد من المعاني المتقاربة فيقول : « غير منكر لشاعرين متناسبين من أهل بلدين متقاربين أن يتفقا على كثير من المعاني ، ولاسيما ما تقدم الناس فيه ، وتردد في الأشعار ذكره ، وجرى في الطباع والاعتياد من الشاعر وغير الشاعر استعماله »[(٢)] . فالآمدي يرى أن أبناء البيئة الواحدة يتفقون في الألفاظ والمشاهد بل وطريقة التفكير والطباع فليس بعيدا أن تقع معانيهم متقاربة أو متشابهة . هذا ويعتبر العلم الحديث البيئة مع الوراثة الدعامتين الأساسيتين في تحديد شخصية الفرد وطريقة تفكيره . ولا يقف الآمدي عند تقارب المعاني عند شعراء أبناء البيئة الواحدة بل يذهب الى الاقرار باتفاق الخواطر وخاصة فيما يشاهد وصفه[(٣)] .

٣) ردّ الآمدي كثيرا من السرقات الى محفوظ الشاعر أو كثرة ما يطرق سمعه من شعر فتعلق هذه المعاني في ذهن الشاعر معتمدا للأخذ أو غير معتمد[(٤)] .

---

(١) الموازنة ، جـ٢ ص ٥٦ — ٥٧ .

(٢) الموازنة ، جـ١ ص ٥٣ .

(٣) الموازنة ، الجزء المخطوط ، ص ٦٨ ب .

(٤) الموازنة ، جـ ١ ، ص ١٠ .

٤) أقرّ الآمدي ان اختلاف الغرضين ينفي السرقة . من ذلك قول أبي تمام :

وليست فرحـــةُ الأَوبـــاتِ إلاَّ   لموقوفٍ على تَرَحِ الـــوداعِ

وقول البحتري :

ما لشيءٍ بشاشةٌ بعـــدَ شيءٍ   كتـــلاقٍ مُواشِكٍ بعـــدَ بَيْنِ

فغرض كل واحد من هذين الشاعرين في هذين البيتين مخالف لغرض صاحبه، فليس - وان كان جنس المعنيين واحد - كما يقول الآمدي يصحّ أن يقال أن أحدهما أخذ عن الآخر (١) .

وقد ميّز الآمدي بين أنواع مختلفة من السرقات وخصائصها من ذلك :

١ - إلطاف المعنى وتجويده : يرى الآمدي أن المتأخر اذا كشف معنى للمتقدم وأحسن العبارة عنه صار أولى به (٢) . وذلك كقول دعبل :

إنّ امرأً أسدى إليّ بشافـــعٍ   يُرجى لـــديَّ الشُّكرَ مني لأَحمق
شفيعكَ فاشكر في الحوائجِ إنه   يصونك عن مكروهها وهو يَخْلُقُ

فأخذه أبو تمام فقال وألطف المعنى وأحسن اللفظ :

فلقيتُ بين يَدَيه حُلوَ عطائهِ   ولقيتَ بين يديَّ مرَّ ســؤاله
وإذا امرؤٌ أَسدى إليكَ صنيعةً   من جاهِــه فكأنها من مالهِ (٣)

---

(١) الموازنة جـ ١، ص ٣٣١ .
(٢) الموازنة ، الجزء المخطوط ، ص ٧٤ ب .
(٣) الموازنة ، جـ ١ ، ص ٦٧ .

٢ ـ التقصير في الأخذ : من ذلك قول الطائي :

والشيبُ إن طَرَدَ الشبابَ بياضُه كالصبح أَحدث للظلام أُفولا

أراد قول الفرزدق :

والشيبُ ينهضُ في الشباب كأنَّه ليلٌ يصيحُ بجانبيه نَهارُ

فقصّر عنه [1] .

٣ ـ احالة المعنى الى غرض آخر ، كقول امرىء القيس :

سَمَوتُ إليها بعدمَا نامَ أَهلُها سُمُوَّ حبَاب الماءِ حالا على حال

أخذه أبو تمام وعدل به الى وجه المديح فقال :

سَمَا للعُلا من جانبيهــا كليهما سُمُوَّ عبَابِ الماءِ جاشت غَوَارِبُه [2]

٤ ـ عكس المعنى : وذلك كقول أبي العتاهيه :

كم نعمةٍ لا تستقلُّ بشكرهــا في طيِّ أَحشاءِ المكاره كامِنَــه

أخذه أبو تمام فقال وأحسن لأنه جاء بالزيادة التي هي عكس المعنى الأول .

قد يُنعمُ اللهُ بالبلوى وإن عَظُمَت ويبتلي اللهُ بعضَ القوم بالنِّعمِ [3]

٥ ـ السرقة في اللفظ والمعنى معا . وهو أوضح أنواع السرقة ، وذلك

---

(١) الموازنة ، ج١ ص ٦١ .

(٢) نفس المصدر ، ص٧٩ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٨٩ .

كقول الفرزدق يهجو جريرا :

أنتم قرارةُ كلِّ مدفعِ سوءةٍ ولكلِّ سائلةٍ تسيرُ قَــرارُ

أخذ أبو تمام اللفظ والمعنى جميعا فقال :

وكانت لوعةٌ ثم اطمــأنَّتْ كذاكَ لــكلِّ سائلةٍ قَــرارُ (١)

هذه هي المبادىء العامة التي سار عليها الآمدي في معالجته قضية السرقات. فالآمدي لا يعدّ السرقات كبير عيب . ولا يريد أن يقف عندها طويلاً . وبالاضافة الى ذلك فقد كان يدرأ الأمور بالشبهات . ويسقط كل ما احتمل التأويل ، ودخل تحت المجاز ، ولاحت له أدنى علّة (٢) . ويرى الاستاذ محمد مصطفى هدارة أن نظرة الآمدي هذه الى مشكلة السرقات جديدة ومشبعة بروح التسامح الذي قد ينبىء عن فهم لحقيقتها (٣) . وفكرة التقليل من أهمية السرقات الشعرية وجدت صداها في مفهوم النقد الحديث فهذا الشاعر ت . س . اليوت يكتب بعــد الآمدي بتسعة قرون ، يرى أن الشاعر قد يستعير أفكار غيره ، وهذا حقّ مشروع — كما يقول — على أن يعطيها من نفسه وعبقريته لتصبح خاصة به (٤) . ويذهب اليوت الى أكثر من ذلك فيقول : « ان ابداع القدامى سيجد طريقه الى الحياة والخلود من خلال ابداع الشعراء المعاصرين » (٥) . ويرى الدكتور شوقي ضيف أن ربّ فكرة مسبوقة تفوق فكرة مبتكرة لم تسبق . فالابتكار من حيث هو

---

(١) الموازنة ج١ ، ص ٧٩ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٣٦ .

(٣) مشكلة السرقات في النقد العربي ، ص ١٣٢ .

(٤) أنظر : Eliot, T.S. «The Use of Poetry», p. 99.

(٥) أنظر : Eliot, T.S. «On Poetry and Poets», p. 22.

صفة فنية بديعة ، انما الابداع هو اخراج الفكرة في وضع جديـد يلفت الانظار »[1] .

ولكن الذي يوخذ على الآمدي في معالجته لقضية السرقات الشعرية – شأنه في ذلك شأن النقاد الأقدمين – اقتصاره على مناقشة المعنى المفرد في البيت الواحد . وعدم التفاته الى امكانية التجديد في الطريقة والأسلوب [2] . بالاضافة الى عدم تحديده للمعاني المبدعة في الشعر . وتفريقه بين الخاص والمشترك منها . وهذا ما دعا الدكتور مندور الى القول بأن الأمر عنده لا يعدو من الناحية النظرية حدود التوجيه العام[3] .

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص ١٧٣ .
(٢) أنظر : النقد الجمالي وأثره في النقد العربي ، ص ١٢٨ .
(٣) النقد المنهجي عند العرب ، ص ٣٦٣ .

الباب الرابع

أثر كتاب الموازنة في النقد العربي

أثر كتاب الموازنة في النقد العربي

يستوي الآمدي على مرتبة رفيعة من الثقة والاكبار في نفوس النقاد العرب وبلاغييهم ممن جاءوا بعده. وسنتناول بالبحث فيما يلي : الناقلين عن كتاب « الموازنة » ومواضع تأثرهم بآراء الآمدي النقدية والبلاغية .

١. القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت٣٩٢ هـ)

وكتابه « الوساطة بين المتنبي وخصومه »

ذوق القاضي الجرجاني الأدبي هو ذاته ذوق الآمدي ، ويلتقي معه في معظم القضايا النقدية والبلاغية ؛ وهو ان لم ينص صراحة على تأثره بكتاب « الموازنة » ولم ينقل نصوصا مباشرة عنه الا أن هنالك كثيرا من الدلائل التي تؤكد ذلك . ففي قول أبي تمام :

حلت محل البكر من مُعطي وقد زفّت من المُعطى زفاف الأيّمِ

يقول القاضي الجرجاني : « ... فجعل الأيم مقابل البكر في التقسيم ، والأيم قد تكون بكرا ، وانما هي التي لا زوج لها ... فأما قول النبي صلى

الله عليه وسلم » الأيم أحق بنفسها من وليها . والبكر تستأذن في نفسها » فقد ذهب العراقيون فيه على ظاهر اللغة . فجعلوا الأيم عاماً في الثيّب والبكر ... وأبى أصحابنا ذلك . فذهب الشافعي الى أن المراد بالأيم الثيّب . وليس يحفظ عنه ، ولا يوجد في شيء من كتبه أن الأيم والثيّب عبارتان عن معنى واحد ، فيجد العائب طريقاً الى عيبه »[١] . ويقول القاضي الجرجاني معقبا على استطراده في التوضيح : « وانما نبذت منه نبذا اقتضاها فصل أصبته لبعض من اعترض على أبي تمام جمع فيه بينه وبين الشافعي في التكبر ، ووازن بين قولهما في الخطأ ، ولم أستحسن ما يتسرع اليه أصحابنا من التصريح بمخالفة اللغة والتشبث بالشواذ المردودة »[٢] . هذا وقد سبقت الاشارة الى تخطئة الآمدي أبا تمام والشافعي في لفظة « الأيم »[٣] .

وفي قول أبي تمام :

وَرُحْبَ صَدرٍ لَو أَنَّ الأَرضَ واسعةٌ
كوسعِهِ لم يضقْ عن أَهلِه بَلَدُ

يقول القاضي الجرجاني : « وهذا المعنى فاسد ، لأنه جعل البلاد انما تضيق بأهلها لضيق الأرض . وأنها لو اتسعت اتساع صدره لم تضق البلاد . ونحن نعلم أن البلاد لم تخطط في الأصل على قدر سعة الارض وضيقها . وأن الارض تتسع لبلاد كثيرة ، ولاتساع ما فيها من المدن أيضا ، وهي على حالها وانما تؤسس وتبتدىء على قدر الحاجة اليها . فإذا استقر بها الزمان وكثرت العمارة وظهر فيها ما يستدعي الناس اليها ضاقت ... »[٤] وهذه

---

(١) الوساطة ، ص ٧٩

(٢) نفس المصدر ، ص ٨١ .

(٣) راجع ص٧ ، هامش رقم ٥ من هذا البحث .

(٤) الوساطة ، ص ٧٧ .

المناقشة هي تلخيص لمناقشة الآمدي لهذا البيت [١] .

وفي قول أبي تمام :

مِنَ الهيفِ لو أن الخلاخِلَ صُيِّرتْ

لَهـا وُشُحاً جالت عليهـا الخَلاخِلُ

يقول القاضي الجرجاني « أراد وصفها بدقة الخصر . فوصفها بغاية القصر والضئولة ... الخ المناقشة [٢] . وقوله هذا تلخيص لمناقشة الآمدي للبيت [٣] .

وفي قول أبي تمام :

وقد ظُلِّلتْ عُقْبانُ أعلامِهِ ضحى بعُقبانِ طَيرٍ في الدمـاءِ نواهلِ

أقامت مع الراياتِ حتى كأنَّها من الجيشِ إلا أنها لم تقاتِلِ

يورد الجرجاني قول الأفوه الأودي :

وترى الطيرَ على آثـارنا رأيَ عَينٍ ثِقَةً أن ستُمَارْ

وقول النابغة :

إذا ما غَزوا بالجيشِ حلّقَ فوقهم عصائبُ طيرٍ تَهتدي بعصائبِ

وقول حميد بن ثور :

إذا ما غدا يوماً رأيتَ غمامةً من الطيرِ ينظرنَ الذي هو صانعُ

---

(١) الموازنة ، ج١ ، ص ١٩٤ .

(٢) الوساطة ، ص ٧٨ .

(٣) الموازنة ، ج١ ، ص ١٤٣ .

وقول أبي نواس :

تتـــأبىٰ الطيـــرُ غَـدوتَه ثِقَـــةً بالشّبعِ مِن جزَرِه[1]

والأبيات السابقة كلها موجودة في كتاب الموازنة وعلى نفس النسق[2] .

أما أثر فكرة الموازنة بين الشعراء في جزئيات المعاني والتحرّج مـــن الحكم العام ــ كما عند الآمدي ــ فنلمحه في موازنة القاضي الجرجاني بين قصيدتي المتنبي وعبد الصمد بن المعذّل في وصف الحمى . يقول الجرجـــاني بعد ايراده قصيدة عبد الصمد بن المعذل ما نصه : « وأنت ــ اذا قست أبيات أبي الطيب بها على قصرها . وقابلت اللفظ باللفظ ، والمعنى بالمعنى ؛ وكنت من أهل البصر ، وكان لك حظ في النقد تبينت الفاضل من المفضول . فأما أنا فأكره أن أبتّ حكما أو أفضل قضاء ، أو أدخل بين هذين البيتين الفاضلين وكلاهما محسن مصيب[3] .

باب الأستعارة : يوافق الجرجاني الآمدي في تعريف الاستعارة ، وملائمة المستعار للمستعار له ؛ ويستحسن مثله بيت امرىء القيس في وصف الليل :

فقلتُ له لـــا تَمطَّىٰ بِصُلبِهِ وأَردَفَ أعجازا وناءَ بِكَلكَلِ[4]

القياس في اللغة : ويتفق الجرجاني مع الآمدي في أن اللغة لا يقـــاس عليها ، وأن القياس انما هو بردّ الفروع على الأصول ، وأن الشواذ لا يصح اتخاذها أصلا يقاس عليه . يقول : « ولا تكاد تجد بابا من العربية يخلو من نوادر وشواذ ، ولو جعلت أصولا وأجريت على حكم القياس لبطلت الأصول

---

(١) الوساطة ، ص ٢٧٤ .
(٢) الموازنة ، جـ١ ، ص ٦٢ .
(٣) الوساطة ، ص ١٢٢ .
(٤) الوساطة ص ٤٣١ – ٤٣٢ ، وأنظر : الموازنة ، جـ١ ، ص ٢٥٠ .

واختلط الكلام »[1]. ويقول كذلك : « قد يجيء عن العرب شواذ لا تجعل أصولا . ولا يلزم لها قياس . لأن ذلك لو ساغ واستمر لانقلبت اللغة ، وانتقضت الحقائق »[2] .

السرقات الشعرية : يوافق الجرجاني الآمدي في أن من سرق معنى من متقدم وحسّنه كان أحق به[3] . ويقرّ كذلك بوجود توارد الخواطر عند الشعراء كما أشار الآمدي[4] .ويذهب القاضي الجرجاني كذلك الى رأي الآمدي في التمييز بين الخاص والعام من المعاني ، وأن الشاعر قد يرفع المعنى المتداول الذي تشترك فيه الجماعة وذلك بحسن التأليف . وأنه قد ينفرد بلفظة تستعذب أو ترتيب يستحسن ، أو تأكيد يوضع موضعه ، أو زيادة اهتدى لها دون غيره ، فيبدو المشترك المبتذل من المعاني في صورة المبتدع المخترع[5] .

النقد والطبع : عرض القاضي الجرجاني الى فضل المران والممارسة والتفرس بالاشعار بالاضافة الى مواتاة الطبع في خبرة الناقد الأدبي ، ووافق الآمدي في أن هنالك من وجوه الاستحسان للشعر ما تحيط به المعرفة ولا تؤديه الصفة ، وأن سبيل ذلك هو التسليم لعلماء الشعر بما يقولون . يقول الجرجاني : « ولو قيل لك كيف صارت هذه الصورة وهي مقصورة عن الأولى في الاحكام والصنعة . وفي الترتيب والصيغة ، وفيما يجمع أوصاف الكمال ، وينتظم أسباب الاختيار أحلى وأرشق وأحظى وأوقع ؟ لأقمت السائل مقام المتعنّت المتجانف ، ورددته ردّ المستبهم الجاهل : ولكان أقصى ما في وسعك . وغاية ما عندك أن تقول : موقعه في القلب ألطف ، وهو بالطبع

(١) الوساطة ص ٤٤٦ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٤٥٣ .
(٣) نفس المصدر ، ص ١٨٨ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٢١٤ .
(٥) نفس المصدر ، ص ١٨٦ .

أليق »[1] . وأورد في ذلك قول الشافعي رضي الله عنه وقد سئل عن مسألة : « اني لأجد بيانها في قلبي ، ولكن ليس ينطلق به لساني »[2] .

واضح مما تقدّم تأثر القاضي الجرجاني بآراء الآمدي النقديـــة وكتاب « الموازنة » وموافقته للآمدي في معظم القضايا النقدية بل وفي الذوق الأدبي أيضا .

٢ . ابو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت٣٩٥ هـ) .

وكتاب الصناعتين

لم يصرح أبو هلال بأخذه عن كتاب الموازنة . ولكنه بين أنه أخذ من المصادر المختلفة وكان له في ذلك فضل الاختصار والتوضيح قال : « وكل شيء استعرته من كتاب وضمنته اياه فإني لم أخله من زيادة تبيين واختصار ألفاظ وغير ذلك مما يزيد في قيمته ويرفع من قدره »[3] . وقد نقل أبو هلال عن كتاب الموازنة في مواضع كثيرة متفرقة . وقد لاحظ ذلك الاستاذ بدوي طبانة وأشار الى أن كتاب الموازنة كان من بين المصادر التي لا بــدّ وأن يكون أبو هلال قد قرأها بتفحص وامعان[4] . وسنحاول فيما يلي كشف النقاب عن مواضع النقل عن كتاب الموازنة والتأثر بآراء الآمدي فيها :

يلخص أبو هلال مناقشة الآمدي لبيت أبي تمام :

رقيقُ حواشي الحِلْمِ لو أن حلمَه   بكفيّكَ ما ماريتَ في أنه بُرْدُ

---

(١) الوساطة ، ٤١٢ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٣٠ .

(٣) كتاب الصناعتين ، ص ٤٦٣ .

(٤) بدوي طبانة ، أبوهلال العسكري ، ص ٧٣ .

ويورد في ذلك قول النابغة والأخطل وأبي ذؤيب وعدي بن الرقاع تماما على نفس الترتيب الذي ذكره الآمدي (١) .

ويورد أبو هلال مناقشة الآمدي لبيت أبي تمام :

مِنَ الهِيفِ لو أَنَّ الخلاخلَ صُيِّرَت
لَهـا وُشُحاً جـالتْ عليها الخلاخِلُ

ويستشهد على ذلك بنفس الأبيات التي أتى بها الآمدي وعلى نفس النسق (٢) .

وفي بيت أبي تمام :

وَرُحْبَ صَدْرٍ لو أنَّ الأَرضَ واسعةٌ
كَوُسعهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَـدُ

يأتي أبو هلال بمناقشة الآمدي التي أشرنا اليها سابقا في بحث القاضي الجرجاني (٣) .

وفي قول أبي تمام :

سأَحْمَدُ نَصْراً ما حَيِيتُ وإنني ... لأَعْلَم أَنْ قَدْ جلَّ نصرٌ عن الحمدِ

ينقل أبو هلال مناقشة الآمدي ويأتي بأبيات الشعر التي استشهد بها على نفس الترتيب (٤) . وينقل أبو هلال عن « الموازنة » في مواضع كثيرة غير

---

(١) كتاب الصناعتين ، ١٢٠ ، وقابل : الموازنة ، ج١ ، ص ١٤٠ ، والجزء المخطوط ، ص ١٢٣ ب .

(٢) كتاب الصناعتين ، ص ١٢٠ ، وقابل : الموازنة ، ج١ ، ص ١٤٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٢٤ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٢٤ — ١٢٥ ، وقابل « الموازنة » ، ج١ ، ص ١٩٧ .

هذه [١] . ولكننا نكتفي بما أوردناه على سبيل المثال لا الحصر .

هذا عن مواضع النقل التي أخذها أبو هلال العسكري عن كتاب الموازنة والتي تثبت بما لا يقبل الشك اعتماده عليه . أمـــا أثر آراء الآمدي النقدية والبلاغية عند العسكري فسنحاول أن نلم بها أو ببعضها فيما يلي :

أ ــ المصطلحات البلاغية : يأخذ أبو هلال بتعريفات الآمدي للمطابقة ويستشهد بأمثلته ويعدل عن قول قدامة بن جعفر في ذلك[٢]. ويأخذ أبو هلال كذلك برأي الآمدي في التجنيس ويستشهد بأمثلته أيضا [٣] . ويأتي بأمثلة على قبح التجنيس في شعر أبي تمام مما أورده الآمدي في « الموازنة » [٤] . ويأخذ أبو هلال بقول الآمدي في تعريف المفاضلة في الكلام وينكر تعريفات قدامة [٥] . ومما تجدر الاشارة اليه أن أبا هلال يتبع الأسلوب الانتقائي في النقل عن كتاب الموازنة ، اذ نجده كثيرا ما ينقل آراء قدامة التي خالفهـــا الآمدي كالقول في الفضائل النفسية والتفريق بين المديح والرثاء [٦] .

ب ــ السرقات الشعرية يرى أبو هلال أن المتأخرين اذا زادوا حسن

---

(١) راجع بعض هذه المواضع في :
كتاب الصناعتين ص ١٢٢ ، وقابل الموازنة جـ ١ ، ص ١٥٣ .
نفس المصدر ص ١٢٥ ، وقابل نفس المصدر ص ١٩٩ .
نفس المصدر ص ١٢٦ – ١٢٧ ، وقابل نفس المصدر ص ٢٠١ .
نفس المصدر ص ١١٩ ، وقابل الموازنة جـ ٢ ، ص ٣٥٥ .
نفس المصدر ص ٤٥٢ ، وقابل نفس المصدر ص ٢٩١ .
(٢) كتاب الصناعتين ص ص ٣٠٧ ، وقابل : الموازنة جـ١ ، ص ٢٧١ .
(٣) كتاب الصناعتين ص ٣٢١ – ٣٢٢ ، وقابل : الموازنة جـ١ ، ص ٢٦٦ – ٢٦٧ .
(٤) كتاب الصناعتين ص ٣٣٤ ، وقابل الموازنة جـ١ ، ص ٢٦٨ .
(٥) كتاب الصناعتين ص ١٦٣ ، وقابل الموازنة جـ ١ ، ص ٢٧٦ – ٢٨١ .
(٦) كتاب الصناعتين ص ٩٨ ، ١٣١ .

تأليف المعاني وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها صاروا أحق بها ممن اليها [1] . وهو في ذلك يوافق الآمدي في أن من كشف عن معنى وأوضحه كان أحق به .

ويقول أبو هلال بسوء الأخذ والتقصير كما أشار الآمدي ، يقول : « وقبح الأخذ أن تعمد الى المعنى فتتناوله بلفظه كله أو أكثره » [2] . ويورد في ذلك مثال الآمدي [3] .

وينقل أبو هلال معظم الأبيات التي استشهد الآمدي بها في باب السرقات الشعرية [4] .

من ذلك يبدو أن أكثر كتاب الموازنة عند أبي هلال العسكري في « كتاب الصناعتين » كان كبيرا . وأن طائفة كبيرة من أمثلة الآمدي ومناقشاته وآرائه مبثوثة في كتاب « الصناعتين » .

٣ . الشريف المرتضى (ت٤٣٦ هـ) وكتاباه

« الأمـــالي » و « طيف الخيال »

يتتبع الشريف المرتضى معاني الآمدي في كتاب الموازنة ويحاول أن ينقضها . . وهو في كتابه « طيف الخيال » يتهم الآمدي بالدفاع عن مساوىء شعر البحتري والتحامل على أبي تمام [5] . ومما تجدر الاشارة اليه أن الشريف

---

(١) كتاب الصناعتين ، ص ١٩٦ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٢٢٩ .
(٣) نفس المصدر ، ص٢٣٣ ، وقابل : الموازنة ج١ ، ص ٨١ .
(٤) كتاب الصناعتين ص ٢٠٥ وما بعدها ، وقابل : الموازنة ج١ ، ص ١٩٦ – ٢٢٨ .
(٥) طيف الخيال ، ص ٢٠ .

المرتضى يقف من آراء الآمدي وتعليقاته موقف العداء والاعتراض . ففي قول البحتري :

لا العــذْلُ يردعــه ولا التــ ـــعنيف عن كَرَمٍ يَصــدُّه

يقول الآمدي : « وهذا عندي من اهجى ما مدح به خليفة وأقبحه . ومن ذا يعنّف الخليفة على الكرم أو يصدّه . ان هذا بالهجو أولى منه بالمدح »[1]. ويرد الشريف المرتضى على ذلك بقوله : « وللبحتري في هذا عذر مــن وجهين : أحدهما أن يكون الكلام خرج مخرج التقدير . فكأنه قال لو عنّف وعذل لما صدّه ذلك عن الكرم وان كان من حق العذل والتعنيف أن يصدّ أو يحجز عن الشيء ...والوجه الآخر أن العذل والتعنيف وان لم يتوجها اليه في نفسه فهما موجودان في الجملة على الاسراف في البذل . والجود بنفائس الأموال »[2] .

وقد لاحظ الخفاجي بأن اعتراضات الشريف المرتضى على الآمدي يسودها طابع الافتعال . فقال : « ذهب الآمدي الى فساد القسمة من قول أبي عبادة البحتري :

ولا بُدَّ من تَرْكِ إحدى اثنتينْ إمّــا الشباب وإما العُمُرْ

قال : « لأن ها هنا قسما آخر . وهو أن يتركا معافيموت الانسان شابا » . وأجاب لشريف المرتضى رضي الله عنه عن ذلك : بأن المرد بترك الشباب تركه بالشيب . فمن مات شابا فلا يقال عنه أنه ترك الشباب لأنه لم يشب .

---

(١) الأمالي ، ج٤ ، ص ١٠ ، وقابل : الموازنة ج١ ، ص ٣٥٥ .
(٢) نفس المصدر ، ص ١١ .

وثمة يقال عنه أنه ترك العمر فدخل في أحد القسمين » [1] . ويقول الخفاجي : « ولي في هذا الموضع نظر وتأمل » [2] .

٤ . الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ)

وكتابه : « العمدة »

ابن رشيق من أولئك الذين طلعوا على كتاب الموازنة للآمدي وتأثروا به في تآليفهم . ففي باب الابتداءات يقول ابن رشيق : « وكان ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي يفضل ابتداءات البحتري جداً . وهو الذي وضع كتاب الموازنة والترجيح بين الطائيين . ونوّه فيه بالبحتري أعظم تنويه » [3] . وفي باب البديع يقول : « فقد رأيت ما صنع به بن المعتز . وكيف قال ابن قتيبة وما ألف عليه المتعقبون كالجرجاني وأبي القاسم بن بشر الآمدي وغيرهما » [4] .

ومما تأثر به ابن رشيق من آراء الآمدي في البلاغة متابعته لتعريف الآمدي في الطباق والجناس [5] . ويردّ ابن رشيق على الآمدي تخطئته لبيت البحتري :

هَجَرَتْنا يَقْظَى وكادت على مَذْ   هَبِهَا في ٱلصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسْنَى

ويقول ابن رشيق معقبا : « واذا أقول : ان مراده أنها لشدة هجرها له ونحوها

---

(١) سر الفصاحة ص ٢٢٧ .
(٢) نفس المصدر والصفحة .
(٣) العمدة ج١ ، ص ٢٣٣ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٢٨٥ .
(٥) نفس المصدر ص٣٢٢ .

عليه لا تراه في المنام الا مهجورا ، ولا تراه جملة،فالمعنى حينئذ صحيح لا فساد فيه ولا غلط » (١) .

٥ . أبو محمد عبد الله بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦ هـ)

وكتابه « سر الفصاحة »

ينظر الخفاجي الى الآمدي نظرة اعجاب واكبار ، وينقل عنه في مواضع كثيرة ، ويتابعه في آرائه النقدية والبلاغية ولا يكاد يخالفه الا في القليل النادر .

يبدأ الخفاجي كلامه عن النقد والبلاغة بالشكوى من قلة العارفين بصناعتها « مع كثرة من يدعي ذلك ، ويتحلى به ، وينتسب الى أهله ، ويماري أصحابه في المجالس » (٢) . ويقول : « وقد كنت أظن أن هذا شيء مقصود على زماننا اليوم ومعروف في بلادنا هذه حتى وجدت هذا الداء قد أعيا أبا القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، وأبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قبله وأشكاهما حتى ذكراه في كتبهما » (٣) . وسنحاول فيما يلي تتبع المواضع التي نقل الخفاجي فيها عن الآمدي من كتاب الموازنة مصرحا بذلك أو غير مصرح :

أ ـ الوحشي من الألفاظ : يوافق الخفاجي أبا القاسم الآمدي في أن استكراه الوحشي من الألفاظ حاصل لسببين :

أولاهما : قبح اللفظة ذاتها

---

(١) العمدة جـ ١ ص ٢٤٧ ، وقابل : الموازنة جـ ١ ، ص ٣٥٣ .
(٢) سر الفصاحة ص ٥٩ - ٦٠ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٦٠

وثانيهما : قبح اللفظة اذا وقعت نافرة في غير موضعها [1] .

ويأتي الخفاجي بعد ذلك بأمثلة الآمدي [2] .

ب- أغاليط أبي تمام : يأتي الخفاجي بأمثلة على أغلاط أبي تمام في معانيه. ومعظم هذه الأمثلة والتعليقات التي عليها مأخوذة من كتاب الموازنة . ففي قول أبي تمام :

طَلَلَ الجميع لقدْ عَفَوْتَ حميدا ... وكَفَى على رُزْءي بذاكَ شَهيدا

يورد الخفاجي مناقشة الآمدي للبيت ويقول : « وعلى هذا أحمل أبو القاسم الآمدي قول الطائي الكبير » [3] . وينوّه الخفاجي بدّقة نظر الآمدي في ذلك فيقول : « وهذا الذي ذكره الشيخ أبو القاسم رحمه الله قول مثله من يتقدّم في هذا العلم . ودقيق النظر فيه وكشف أسراره » [4] .

وفي قول أبي تمام :

جلَّيتَ والموتُ مُبدٍ حُرَّ صفحته ... وقد تَفَرْعَنَ في أفعالِهِ الأَجَلُ

يوافق الخفاجي الآمدي في أن لفظة « تفرعن » مشتقة من اسم فرعون وهو من ألفاظ العامة [5] . ويستشهد الخفاجي في معنى كلمة « الأيم » بأمثلة الآمدي ويضعف قوله : « وقد حكى أن بعض كبار الفقهاء وهو محمد

---

(١) سر الفصاحة ، ص ٦٠ .

(٢) نفس المصدر ص ٦٣ ، ٦٦ ، وقابل الموازنة ج ١ ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٦ .

(٣) سر الفصاحة ص ١٠٦ — ١٠٧ . وقابل الموازنة ج١ ، ص ٢٠٦ .

(٤) سر الفصاحة ، ص ١٠٦ — ١٠٧ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٦٩ ، وقابل الموازنة ج ١ ، ص ٢٢٧ ، والجزء المخطوط ، ص ٩٤ أ .

ابن ادريس الشافعي غلط في ذلك » [1] . ويأتي الخفاجي كذلك بمناقشة الآمدي لمعنى لفظة « صلف » والتي وردت في بيت لأبي تمـام يصف فيه الفرس [2] .

جـ – عيوب الشعراء : وهو في ذلك يتتبع ما أتى به الآمدي في كتاب الموازنة في باب ما عيب عليه الشعراء . وهذه العيوب هي ملاحظات عابرة جمعها الآمدي لكثير من الرواة والشيوخ وأهل اللغة وكثيرا ما كان يضيف عليها شرحه وتعليقاته . ويأتي الخفاجي بأمثلة الآمدي وتعليقاته بعد أن يختمها أحيانا بعبارات الاستحسان والثناء [3] .

د – الاستعارات : يوافق الخفاجي رأي الآمدي في الاستعارة ، وينحو منحاه في تفسير الأبيات القرآنية التي تشتمل عليها [4] . لكنه يقف مـــن

---

(١) سر الفصاحة ص ٧٣ ، وقابل الموازنة ، ج١ ، ص ١٦١ .

(٢) سر الفصاحة ص ٧٣ - ٧٤ ، وقابل الموازنة ج ١ ، ص ٢٣٤ ، والجزء المخطوط ص١١٢ ب .

(٣) لاحظ ذلك في :

سر الفصاحة ص ٢٤٨ ، وقابل الموازنة ج١ ، ص ٣٦ .

سر الفصاحة ص ٢٤٨ ، وقابل الموازنة ج ١ ، ص ٣٧ .

سر الفصاحة ص ٢٤٨ ، وقابل الموازنة ج٢ ، ص ٣٥٥ .

سر الفصاحة ص ٢٤٩ ، وقابل الموازنة ج١ ، ص ٤٠ .

سر الفصاحة ص ٢٤٩ ، وقابل الموازنة ج ١ ، ص ١٣٨ .

سر الفصاحة ص ٢٤٩ ، وقابل الموازنة ج ١ ص ١٦٧ .

سر الفصاحة ص ٢٥٠ ، وقابل الموازنة ج١ ، ص ١٨٤

سر الفصاحة ص ٢٣٤ ، وقابل الموازنة ج٢ ، ص ٣٣٦ .

(٤) سر الفصاحة ص ١١١ ، ص ١٣٤ ، ص ١٣٧ ، ص ١٣٨ وقابل : الموازنة ج١ ، ص ٢٦١ ، ص ٢٨٨ ، والموازنة ج٢ ، ص ٣٢٥ على نفس الترتيب .

استحسان الآمدي لبعض الاستعارات في الشعر موقف المعارض . ففــي اختيار أبي القاسم الآمدي لبيت امرىء القيس :

فقلتُ لهُ لما تَمَطَّى بصلبِهِ وأردَفَ أعجــازاً وناءَ بِكَلْكَلِ

كمثال على الاستعارة المتناسبة يقول الخفاجي : « وهذا الذي قال أبو القاسم لا أرضى به غاية الرضى . ولو كنت أسكن الى تقليد أحد من العلماء بهــذه الصناعة أو أجنح الى اتباع مذهبه من غير نظر وتأمل لم أعدل عما يقوله أبو القاسم لصحة فكره وسلامة نظره وصفاء ذهنه وسعة علمه . لكنني أغلب الحق عليه ولا أتبع الهوى فيما يذهب اليه . وبيت امرىء القيس عندي ليس من جيّد الاستعارة ولا رديئها بل هو من الوسط بينهما »(1) .

وواضح من تعليق الخفاجي وتعظيمه للآمدي وتنويهه بعلمه أنه (أي الخفاجي) قد درس مؤلفات الآمدي وتأثر بها واعتمدها في مؤلفــه « سر الفصاحة » .

ومن دلائل هذا التأثير ايضا تبني الخفاجي لمصطلحات الآمدي البلاغية . ففي باب المعاظلة يعيب الخفاجي تفسير قدامة لهذه اللفظة ويأتي بأمثلة الآمدي في الرد عيه ثم يعقب على ذلك بقوله : « وهذا الذي ذكره أبو القاسم رحمه الله صحيح ويجب أن يقتدى به في هذا الباب ، وقد بين المعاظلة ، وفرّق بينها وبين غيرها من العيوب بالتمثيل الذي ذكره »(2). وينتصر الخفاجي لآراء الآمدي في الجناس والطباق ويعيب على قدامة مصطلحاته ، ولم يكتف بذلك بل أورد النص التالي في توثيق تفسيرات الآمدي قال : « حكى أبو علي محمد بن المظفر الحاتمي عن أبي الفرج علي بن الحسين الاصفهاني قال :

---

(1) سر الفصاحة ص ١١٤ ، وأنظر : كتاب « حسن التوسل » ص ٣٥ ، وقابل : الموازنة ج١ ، ص ٢٥٠ .

(2) سر الفصاحة : ص ١٨٥ ، وقابل الموازنة ، ج ١ ص ٢٧٥ .

قلت لأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش : أجد قول يخالفون في الطباق فطائفة تزعم وهي الأكثر : أنه ذكر الشيء ، وطائفة تخالف في ذلك وتقول هو اشتراك المعنيين في لفظ واحد . فقال : من هو الذي يقول هذا ؟ قلت قدامة . فقال : هذا يا بني هو التجنيس من زعم أنه طباق فقد ادّعى خلافا على الخليل والأصمعي ، فاتفق الأخفش والآمدي على مخالفة أبي الفرج في التسمية » (١) .

وأنكر الخفاجي على قدامة بن جعفر تعريفه المدح بأنه ذكر الفضائل النفسية وأتى بانكار الآمدي لذلك (٢) .

هـ ـ صناعة الشعر ونقده : يأتي الخفاجي بأمثلة الآمدي في أن صناعة الشعر كغيرها من الصناعات لا تجود وتستحكم الا بأربعة أشياء وهي : جودة الآلة ، واصابة الغرض والمقصود ، وصحة التأليف ، والانتهاء الى تمام الصنعة من غير نقص ولا زيادة عليها (٣) . ويشرح الخفاجي هذه الأحكام على غرار شرح الآمدي لها (٤) .

ويوافق الخفاجي الآمدي في أن الدربة بعد موافاة الطبع وتأمل الأشعار الكثيرة والكلام المؤلف على طول الوقت وتراخي الأزمنة هي السبيل الى الخبرة بالشعر ونقده (٥) .

من ذلك يبدو بيّنا اعتماد الخفاجي كتاب الموازنة ، واتخاذه من أجزائه أصولا بنى عليها تفاريق ، وأحكاما عامة توّسع لها بالشوهد والأمثلة .

---

(١) سر الفصاحة ، ص ١٨٩ ، وأنظر : ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب ، ص ٦٩ ، وأنظر كذلك : « حسن التوسل » ، ص ٦٧ ـ ٦٨ ، وأبو الفرج : كنية قدامة .
(٢) سر الفصاحة ، ص ٢٥٠ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٨٥ ـ ٨٨ ، الموازنة ج١، ص ٤٠٢ .
(٤) الموازنة ، ج١، ص ٤٠٢ - ٤٠٣ .
(٥) سر الفصاحة ، ص ٨٨ ، وقبل الموازنة ج١ ، ص ٣٨٨ ـ ٣٩٦ .

آ . الامام عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ هـ) وكتاباه

« أسرار البلاغة » و« دلائل الاعجاز »

للآمدي في نفس الامام عبد القاهر احترام وتعظيم ، وهو يتخذ من أقواله حججا يرجع اليها ويستشهد بها . ومن مواضع اعجاب الامام عبد القاهر بالآمدي تفريقه بين الاستعارة والحقيقة في ألفاظ اللغة . يقول : « قال أبو القاسم الآمدي في قول البحتري :

فصاغ ما صاغ من تبرٍ ومن وَرَقٍ وحاكَ ما حاك من وشيٍ وديباجِ

صوغ الغيث وحوكه النبات ليس باستعارة بل هو حقيقة ، ولذلك لا يقال « هو صائغ » ولا « كأنه صائغ » وكذلك لا يقال « حائك » وكأنه حائك » [1]. ويعجب الجرجاني من استدلال الآمدي على ذلك بامتناع أن يقال « كأنه صائغ » و « كأنه حائك » ثم يقول : « أعلم أن هذا كأحسن ما يكون » [2] .

ويتخذ الجرجاني من تعريفات الآمدي مصطلحات ثابتة في البيان والبديع . فهو يستشهد بأقوال الآمدي في تحديد أقسام البديع يقول : « قال الآمدي نفسه : ثم قد رأتي في الشعر ثلاثة أنواع أخر يكتسي المعنى العام بها بهاء وحسنا حتى يخرج بعد عمومه الى ان يصير مخصوصا . ثم قال : وهذه الانواع هي التي وقع عليها اسم البديع وهي الاستعارة والطباق والتجنيس . فهذا نص صريح في موضع القوانين على أن الاستعارة من أقسام البديع » [3] .

---

(١) أسرار البلاغة ص ٣٥٢ ، وأنظر : دلائل الاعجاز ج ٢ ، ص ١٩٦ – ١٩٧ وقابل الموازنة ج١ ، ص ٤٩٨ .

(٢) أسرار البلاغة ، ص ٣٥٣ .

(٣) أسرار البلاغة ، ص ٣٧٠ – ٣٧١ . وقابل : الموازنة ج ١ ، ص ٢٧٢ .

واضح مما سبق اعجاب الامام عبد القاهر بالآمدي واحتجاجه بكلامه . وبيّن كذلك تأثره بآراء الآمدي في النقد والبلاغة .

٧ . الخطيب التبريزي (ت٥١٢ هـ) وشرحه ديوان أبي تمام :

اعتمد الخطيب التبريزي كتاب الموازنة عند شرحه لديوان أبي تمام . وهو ينقل عنه في مواضع متفرقة . ويميل الى آراء الآمدي فيها . ففي قول أبي تمام :

هُنَّ عوادي يُوسُفٍ وصواحبُه فَعَزْماً فَقِدْماً أدركَ السُّؤْلَ طالِبُه

يورد التبريزي مناقشة الآمدي لهذا البيت ثم يقول : « ولفظ أبي تمام يدل أيضا على ما قدره الآمدي من معنى البيت بالالفاظ التي ذكرها اذا رجعت الى الحقيقة »[(١)] . وهذا على سبيل المثال .

٨ . المبارك بن أحمد الاربلي المعروف بابن المستوفي (ت٦٣٧ هـ)

وكتابه « النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام »

رغم تعصب ابن المستوفي على الآمدي وزعمه بأن الآمدي كان يضع في شعر أبي تمام أبياتا مفسودة ليردّها عليه[(٢)] . يستصوب آراء الآمدي

---

(١) ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، جـ١ ، ص ٢٢٤ ، وقابل الموازنة جـ٢ ، ص ١٠٧

(٢) ديوان أبي تمام ، شرح التبريزي جـ١ ، ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩ (الحاشية) وأنظر ص ٤٦٣ (الحاشية) من الجزء نفسه .

في المناقشة والشرح في مواضع كثيرة . منها تعليق الآمدي على بيت أبي تمام :

جَهْمِيَّةُ الأَوْصافِ إلاَّ أَنَّهم قَدْ لَقَّبُوهـا جَوْهَرَ الأَشْياءِ

فقد نقل ابن المستوفي كلام الآمدي ، وأورد في ذلك كلام الصولي والمرزوقي وأبي العلاء المعرّي وغيرهم ، ثم عقب على ذلك بقوله : « والصحيح ما قاله الآمدي ... وهذا البيت مما عهدتهم يفيضون فيه وفي تفسيره فلا يصحّ الا بالحدس والظنّ »[1] .

٩ . أبو الفتح ضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٧ هـ)

وكتابه « المثل السائر »

ينوه ابن الأثير بكتاب الموازنة ويراه أجلّ الكتب النقدية والبيانية التي يمكن أن ينتفع بها يقول : « ... فإن علم البيان لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه للأحكام وأدلة الأحكام . وقد ألف الناس فيه كتبا . وجلبوا ذهبا وحطبا . وما من تأليف الا وقد تصفحت شينه وسينه . وعلمت غثّه وسمينه ، فلم أجد ما ينتفع به في ذلك الا كتاب الموازنة لأبي القاسم الحسن ابن بشر الآمدي . وكتاب « سر الفصاحة » لأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي . غير أن كتاب الموازنة أجمع أصولا . وأجدى محصولا »[2] . ويضيف ابن الأثير قوله في موضع آخر من كتاب المثـل السائر في تعظيم

(١) ديوان أبي تمام ، شرح التبريزي ج١ ، ص٣٦ - ٣٧ ، وقابل : الموازنة الجزء المخطوط ، ص ٤٥ أ .
(٢) المثل السائر ، ج١ ، ص ٣ - ٤ .

الآمدي وغزارة علمه : « كان أثبت القوم قدما في فن الفصاحة والبلاغة . وكتابه المسمى بـ« الموازنة بين الطائيين » يشهد بذلك [1] . وفيما يلي تلخيص لبعض النقاط التي يلمح أثر آراء الآمدي فيها :

١ ــ الاستعارات : يأتي ابن الأثير بشرح الآمدي للاستعارات التي جاءت في القرآن الكريم من مثل (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) [2] . وقوله تعالى : (واشتعل الرأس شيبا) [3] .

٢ ــ القياس في اللغة : يذهب ابن الأثير الى رأي الآمدي في ضرورة التقيّد بأصول اللغة وأهمال الشوارد يقول : « نحن لا نحكم على الشاذ النادر الخارج عن الاعتدال ، بل نحكم على الكثير الغالب » [4] .

٣ ــ نقد الشعر : يوافق ابن الأثير الآمدي في أن ملاك البصر بالمنظوم والنثر هو الاستعداد الفطري والطبع المواتي . وأنه اذا لم يكن ثمة طبع فإنه لا تغني آلات البيان شيئا . ويذهب الى رأيه في أن طبائع الناس تتفاوت في قدرتها على النفاد في العلوم [5] .

٤ ــ المصطلحات البلاغية : يخطّيء ابن الأثير قول قدامة في تعريف المعاظلة في الكلام ويبين خطأ أمثلته . ويأتي بأمثلة الآمدي وتعريفه [6] . وفي باب الطباق يقول : « وقد أجمع أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده ... وخالفهم في ذلك قدامة بن جعفر

(١) المثل السائر جـ ١ ، ص ٣٨٤ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٤٠٠ ، وقابل : الموازنة جـ١ ، ص٢٥٣ .
(٣) المثل السائر جـ١ ، ص ٤٠٠ ، وقابل : الموازنة جـ١ ، ص ٢٥٣ .
(٤) المثل السائر ، جـ١ ، ص ١٥٠ .
(٥) نفس المصدر ص ٨ .
(٦) نفس المصدر ، ص ٢٩٢ — ٢٩٣ .

الكاتب »[1] . ويرى ابن الأثير أن الأليق من جهة المعنى تسميه هذا النوع بالمقابلة لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين : اما أن يقابل الشيء بضده ، أو يقابل بما ليس بضده وليس لنا وجه ثالث »[2] . وكان الآمدي قد قال في حقيقة الطباق : « انما هو مقابلة الشيء بمثل الذي هو على قدره ، فسمّوا المتضادين ، – اذا تقابلا – متطابقين »[3]. ولا خفاء بتأثر ابن الأثير بتعريف الآمدي في الطباق .

وتنتهي المؤلفات النقدية والبلاغية بعد ابن الأثير الى حالة من الانحطاط والجمود . ولا يعد لمؤلفيها من فضل أكثر من تلخيص المصادر وجمع الروايات كما نلحظ ذلك عند ابن الاصبع المصري (ت٦٥٤ هـ) وعبد الرحيم العبّاسي (ت٩٠١ هـ) صاحب كتاب « معاهد التنصيص » .

(١) المثل السائر ، جا ، ص ٢٧٩ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٢٨٠ .
(٣) الموازنة ، جا ، ص ٢٧٢ .

الخاتمة

لم تكن للبحتري - كما يبدو - الامكانات الكافية لتحرير أفق تفكيره وبالتالي تطوير أحاسيسه ومشاعره حتى يتفهم متطلبات عصره الذي تعقدت فيه الحياة وتطورت الحضارة ونمت الفلسفة وازدهرت العلوم . لهذا ظل أبو عبادة متمسكا بعمود الشعر والأنماط الشعرية المألوفة فنال اعجاب المحافظين الذين لا يروق لهم أي تجديد . أما أبو تمام ، على النقيض من البحتري ، فالظاهر أنه قد أتيحت له ، بفضل سعة اطلاعه وعمق دراسته وبعد فراسته ، فرص أوسع لتفهم حاجات عصره وتطلعاته للمستقبل ، فتجاوب مع مقتضيات الحال في زمانه حتى عد ذلك افراطا أحيانا ، وصعب على من لا يروق لهم أي تجديد ادراك تلك القفزات العملاقة واتهموه بالتعقيد وفساد الذوق والابتعاد عن الروح الشاعرية الأصلية لا لشيء الا لمحاولاته التجديد في بعض أنماط التعابير المألوفة .

ومن الواضح الجلي أن الآمدي كان ينصف أبا تمام فيما وقع من شعره ضمن عمود الشعر . ولكن نظرة الآمدي المحافظة ومقاييسه الضيقة قصرت به عن فهم شعر أبي تمام وتذوقه مما أفقد أحكامه النزاهة والاتزان وحرم من

التوصل الى نتائج جيدة وأحكام دقيقة . ولولا نظرته تلك لرجونا أن ينصف أبا تمام ومن الجائز أن يكون من أنصاره . لكن محافظته دفعته — شعر أم لم يشعر — الى أن يصدر أحكاما جائرة بحق الفنان المبدع والشاعر العبقري أبي تمام الطائي .

ثبت المراجع العربية والمترجمة

١ . الآمدي . أبو القاسم : الموازنة (تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف . مصر ١٩٦١ - ١٩٦٥ م) .

٢ . الآمدي . أبو القاسم : ميكروفيلم مصوّر عن نسخة دار الكتب المصرية في ثلاثة أجزاء .

٣ . الآمدي . أبو القاسم : الموازنة (الجزء المخطوط . مصوّر عن نسخة كمبردج) .

٣ . الآمدي . أبو القاسم : المؤتلف والمختلف (تحقيق عبد الستار فراج . دار أحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٦١ .

٥ . الآمدي . أبو القاسم : المؤتلف والمختلف (تحقيق كرنكو مكتبة القدسي . القاهرة . ١٣٥٣ ﻫ) .

٦ . ابن الأثير . أبو الفتح ضياء الدين : المثل السائر (مطبعة البابي الحلبي . مصر ١٩٣٤) .

٧ . أحمد أمين . النقد الأدبي (الطبعة الثانية — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٥٧) .

٨ . ابن أبي الاصبـع المصري : بديع القرآن (الطبعة الاولى . مطبعة الرسالة . مصر ١٩٥٧) .

٩ . الاصفهاني . أبو الفرج : الأغاني (دار الثقافة . بيروت . ١٩٦٠) .

١٠ . الألوسي . محمود شكري : بلوغ الأرب (المطبعة الرحمانية . مصر ١٩٢٤) .

١١ . ابن الأنباري . أبو البركات : نزهة الألباء (مطبعة المعـارف . بغداد . ١٩٥٩) .

١٢ . البغدادي . اسماعيل باشا : هدية العارفين (مطبعة المعارف . استانبول . ١٩٥١) .

١٣ . البغدادي . عبد القادر بن عمر : خزانة الأدب (تحقيق محمد محيي الدين الدين عبد الحميد . دار العصور للطبع والنشر . القاهرة . ١٩٢٩) .

١٤ . بروكلمان . كارل : تاريخ الأدب العربي (ترجمة عبد الحليم نجار . جـ ٢ . دار المعارف . مصر ١٩٦١) .

١٥ . أبو تمام . حبيب بن أوس : ديوان أبي تمـام . شرح الخطيب التبريزي . دار المعارف بمصر . ١٩٥١ . ١٩٥٧ .

١٦ . التوحيدي . أبو حيان : الامتاع والمؤانسة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . ١٩٣٩ - ١٩٤٤) .

١٧ . الثعالبي . أبو منصور : يتيمة الدهر (الجزء الثالث . المطبعة الحنفية . دمشق ١٣٠٤ هـ) .

١٨ . ثلاث رسائل في اعجاز القرآن (تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام . دار المعارف . مصر) .

١٩ . الجاحظ . أبو عثمان : البيان والتبيين (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . ١٩٤٨) .

٢٠ . الجاحظ . أبو عثمان : كتاب الحيوان (مطبعة الحلبي مصر . ١٩٣٨ - ١٩٤٥) .

٢١ . الجرجاني . عبد القاهر : أسرار البلاغة (تحقيق هـ . ريتر . مطبعة وزارة المعارف ، استانبول ١٩٥٤) .

٢٢ . الجرجاني . عبد القاهر : دلائل الاعجاز (تحقيق محمد بن تاويت . المعهد الديني العالي . تطوان) .

٢٣ . الجرجاني . علي بن عبد العزيز : الوساطة (الطبعة الثالثة . دار أحياء الكتب العربية . مصر ١٩٥١) .

٢٤ . ابن جعفر . قدامة : نقد الشعر (تحقيق بونيباكر ، مطبعة بريل . لندن ١٩٥٦ م) .

٢٥ . الجمحي . محمد بن سلام : طبقات فحول الشعراء . (دار المعارف للطباعة والنشر . مصر ١٩٥٢) .

٢٦ . ابن الجوزي . أبو الفرج : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (الطبعة الاولى . مطبعة دار المعارف العثمانية . حيدر آباد . ١٣٥٨هـ) .

٢٧ . حاجي خليفة . مصطفى : كشف الظنون (وكالة المعارف . استانبول . ١٩٤١) .

٢٨ . الخاني . ناصر : النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي . (مطبعة بغداد . بغداد ١٩٥٥) .

٢٩ . ابن حجة الحموي . تقي الدين : خزانة الأدب (الطبعة الاولى المطبعة الرحمانية . مصر ١٩٣٢) .

٣٠ . الحريري . القاسم بن علي : درة الغوّاص (الطبعة الاولى . مطبعة الجوائب . القسطنطينية ، ١٢٩٩ هـ) .

٣١ . الحصري ، أبو اسحق : زهر الآداب (الجزء الثالث ، المطبعة الرحمانية ، مصر ١٩٢٧) .

٣٢ . الحلبي ، شهاب الدين : حسن التوسل الى صناعة الترسل ، (مطبعة هندية بمصر ، ١٣١٥ هـ) .

٣٣ . الخفاجي ، شهاب الدين : طراز المجالس (المطبعة الوهبية مصر ١٢٨٤هـ) .

٣٣ . الخفاجي ، ابن سنان : سر الفصاحة (الطبعة الأولى ، المطبعة الرحمانية ، مصر ١٩٣٢) .

٣٥ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد (مطبعة السعادة ، مصر ١٩٣١) .

٣٦ . ابن خلدون ، عبد الرحمن : المقدمة (مطبعة بولاق القاهرة ١٢٨٤ هـ) .

٣٧ . ابن خنكان ، شمس الدين : وفيات الأعيان (مطبعة السعادة مصر ، ١٩٤٨) .

٣٨ . الخوانساري ، محمد باقر : روضات الجنات (طهران ١٣٢٧ هـ) .

٣٩ . الزبيدي ، أبوبكر : طبقات النحويين واللغويين (الطبعة الأولى مطبعة الخانجسي ، مصر ١٩٥٤ م) .

٣٠ . الزركلي ، خير الدين : الأعلام (الجزء الثاني ، الطبعة الثانية ، مطبعة كوستاتوماس وشركاه ، ١٩٥٤ م) .

٣١ . السكاكي ، أبو يعقوب : مفتاح العلوم ، المطبعة الميمنية ، مصر ١٣١٨ هـ .

٣٢ . السمعاني ، أبو سعيد عبد الكريم : كتاب الأنساب (ليدن ، بريل ١٩١٢ م) .

٤٣ . السيوطي ، جلال الدين : بغية الوعاة (مطبعة السعادة مصر ١٣٢٦ هـ) .

٤٤ . السيوطي ، جلال الدين : شرح شواهد المغني (المطبعة البهية مصر ، ١٣٢٢هـ) .

٤٥ . الصابىء ، هلال بن المحسن : تحفة الأمراء (طبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٤) .

٤٦ . الصولي ، أبو بكر : أخبار البحتري (المجمع العربي بدمشق ١٩٥٨م) .

٤٧ . الصولي ، أبو بكر : أخبار أبي تمام (مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر . القاهرة . ١٩٣٧ م) .

٤٨ . ضيف ، شوقي : الفن ومذاهبه في الشعر العربي (الطبعة الاولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٣) .

٣٩ . طبانة ، بدوي : أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية (مطبعة مخيمر ، مصر ، ١٩٥٢) .

٥٠ . أبو الطيّب اللغوي ، عبد الواحد : مراتب النحويين (مطبعة نهضة مصر . ١٩٥٥ م) .

٥١ . العبّاسي ، عبد الرحيم : معاهد التنصيص (المطبعة البهية مصر ، ١٣١٦ هـ) .

٥٢ . العسكري ، أبو هلال : ديوان المعاني (مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٢ هـ) .

٥٣ . العسكري ، أبو هلال : كتاب الصناعتين (دار أحياء الكتب العربية ، مصر ١٩٥٢ م) .

٥٤ . العلوي . السيد جعفر : موسم الأدب (الطبعة الأولى مطبعة السعادة . مصر ١٣٢٦ هـ) .

٥٥ . غريب . روز : النقد الجمالي وأثره في النقد العربي (دار العلم للملايين . بيروت ١٩٥٢) .

٥٦ . ابن قتيبة . أبو محمد عبد الله بن مسلم : الشعر والشعراء (الجزء الاول . دار الثقافة . بيروت ١٩٦٤ م) .

٥٧ . ابن قتيبة . أبو محمد عبد الله بن مسلم : أدب الكاتب (الطبعة الثالثة . مطبعة السعادة . مصر ١٩٥٨م) .

٥٨ . القفطي . جمال الدين : انباه الرواة (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة ١٩٥٠ م) .

٥٩ . القيرواني . ابن رشيق : العمدة (الطبعة الثانية . مطبعة السعادة . مصر ١٩٥٥ م) .

٦٠ . ابن كثير عماد الدين : البداية والنهاية (الجزء الحادي عشر . مطبعة السعادة . مصر ١٣٥٨ هـ) .

٦١ . كراتشكوفسكي . اغناطيوس : دراسات في تاريخ الأدب العربي (ترجمة محمد المعصراني وزملائه . دار النشر . موسكو ١٩٦٥ م) .

٦٢ . المرتضى . الشريف علي بن الحسين : الأمالي (مطبعة السعادة . مصر ١٩٠٧ م) .

٦٣ . المرتضى . الشريف علي بن الحسين : طيف الخيال (دار أحياء الكتب العربية . مصر . ١٩٦٢ م) .

٦٤ . المرزباني أبو عبيد الله : معجم الشعراء (مكتبة القدسي مصر . ١٣٥٤ هـ) .

٦٥ . المرزباني أبو عبيد الله : الموشح (دار نهضة مصر ١٩٦٥) .

٦٦ . المرزباني . أبو عبيد الله : نور القبس المختصر من المقتبس . اختصار أبي المحاسن يوسف بن أحمد الحافظ اليغموري تحقيق رودولف زهايم فيسبادن . ستاينر . ١٩٦٤ .

٦٧ . المرزوقي أبو علي : شرح كتاب الحماسة (الجزء الأول) . الطبعة الأولى . لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٥١ .

٦٨ . ابن المعتز . أبو العباس عبد الله : البديع (نشر كراتشكوفسكي . مطبعة لوزاك . لندن ١٩٣٥) .

٦٩ . ابن المعتز . أبو العباس عبد الله : رسائل ابن المعتز (جمع محمد عبد المنعم خفاجي . الطبعة الأولى . مطبعة الحلبي . مصر ١٩٤٦) .

٧٠ . ابن المعتز . أبو العباس عبد الله : طبقات الشعراء (دار المعارف . مصر ١٩٥٦ م) .

٧١ . المعتزلي . عبد الجبار : المغني (الطبعـــة الأولى . ط دار الكتب المصرية . ١٩٦٠ م) .

٧٢ . مندور . محمد : النقد المنهجي عند العرب (دار نهضة مصر للطبع والنشر) .

٧٣ . ناصيف . مصطفى : نظرية المعنى في النقد العربي (مطبعة دار القلم القاهرة . ١٩٦٥ م) .

٧٤ . ابن النديم . محمد بن اسحق : الفهرست (تحقيق غوستاف فلوجل مكتبة خياط . بيروت ١٩٦٤ م) .

٧٥ . هايمن . ستانلي : النقد الأدبي ومدارسه الحديثة . الجزء الأول (ترجمة عباس ونجم . بيروت ١٩٥٨ م) .

٧٦ . هدارة . محمد مصطفى : مشكلة السرقات في النقد العربي . (الطبعة الاولى . مطبعة لجنة البيان العربي . مصر . ١٩٥٨ م) .

٧٧ . الهمداني . محمد بن عبد الملك . تكملة تاريخ الطبري (الطبعة الاولى . المطبعة الكاثوليكية . بيروت . ١٩٥٩ م) .

٧٨ . وافي . علي عبد الواحد : علم اللغة (الطبعة الرابعة . مكتبة نهضة مصر . القاهرة . ١٩٥٧ م) .

٧٩ . ياقوت الحموي . شهاب الدين : معجم الأدباء (مطبوعات دار المأمون (١٩٣٦ – ١٩٣٨) .

٨٠ . ياقوت الحموي . شهاب الدين : معجم البلدان . الجزء الأول . (بيروت . ١٩٥٥ م) .